الدار

فاصل .. للدهشة

رواية

محمد الفخراني

فاصل .. للدهشة

رواية

محمد الفخرانى

يناير ٢٠٠٧
الـدار للنشر والتوزيـع

اســـــم العمـــــل : فاصل .. للد ّشة (رواية)

تـــــــــــأليف : محمد الفخرانى

تصـــــميم الغـــــلاف : مجاهد العزب

الطبعـــــة الأولـــــى : يناير ٢٠٠٧

الطباعـــــــــــة : مطبعة آتيليه تاتش – المحروسة

الناشـــــــــــر : الدار للنشر والتوزيع

تليفـــــون – فـــــاكس : ٣٥٣١٣٤٣ (٢٠٢)

بريـــــد إلكترونـــــى : eddar_press@yahoo.com

www.geocities.com\eddar_press

المـــــدير العـــــام : محمـد صـلاح مـراد

رقـــــم الإيـــــداع : 2006 / 24692

التـــــرقيم الـــــدولى : I.S.B.N. : 977-6227-07-4

" يصير تاريخ الإنسان منتظراً نصر الإنسان المهان "

طاغور

: إيه حرام أكتر .. السرقة ولا الجوع ؟؟

يزعق بها "هلال " لأمه ، يرمى فى حجرها فلوسه من بيع المخدرات ، ترميها للأرض، يشق قميصه عن صدره وبطنه ، يسحب "الخنصر" من جيب الچينز الخلفى يجرح به ظهر ذراعه ، يضرب صفيح العشّة بقدميه ، يسب دين أم المخبر الذى سجن أبيه .. يحلف: عليّا الحرام .. هآكُل وأشرب وأسكر وأكسب فلوس غصباً عن "الحكومة"* والدنيا بحالها ..

(عشّة "هلال " وأمه)

: أنا عليّا الدم .. سيبنى الليلة ..

يدفعها للسرير ، ينزع " كيلوتها " المنقَّط بالدم ، ينتصب بين فخذيها يفتحهما ، تلكمه فى جنبه لكمات يائسة : أنا عليّا الدم يا بهيمة ..

يمسك عضوه المتشنج يقحمه فيها بخبطات متسارعة لاهثاً باسم واحدة من الممثلات المثيرات اللاتى يلصق صورهن بمواجهته على صفيح العشة ، يتخيّل أنه يضاجعهن بدلاً من امرأته ..

(*) طبقة المهمشين يقولون " الحكومة " ويقصدون بها الشرطة .

- الحكومة " بين علامتى تنصيص مقصود بها الشرطة .

موجوعة.. تسحب طرف الملاءة المهترئة تغطى مؤخرته وفخـذيها عن اثنين من عيالهما قاعدين فى ركن العشة يرقبان المشهد بكثيـر من العادية ..

(عشّة بدرى)

: روح ف مصيبة تاخدك بعيد عن هنا ..

تقولها " فراولة " للمخبر الدهنى الواقف فى فتحة باب عشتها ..

يخرج من جيبه فلوسه المتسخة بعرقه ، عينه تلحـس حلمـة بزّهـا النافرة فحل توت من تحت قميص نوم مسترخى بشهوة على لحمها

:اللّى انتى عايزاه ..

دفقة هواء حارة تندفع من تحت باطها المنتوف ، تتـنفس عطرهـا المعفرت تنفخه على وجهه ، فتنفتح فى مخه حنفية خمرة

: انت م شبعتش من نسوان العشش؟!

ولاّ أنا فيّه شوكولاتة؟!

تسحب المطواة من صفيح العشّة تفتحها فى صـدغه ، يكـزّ علـى أضراسه، يشمشم فى أصابعها ، تحسّ برودة أرنبة أنفه ودهن مقرف يسيح فى يدها ..

ينهج بهيجان ، يشفط زبده من شدقيه

: كلاب السكك قطّعتك .. اشمعنى أنا ..؟!!

تبص له بقرف

:سقّطنى من دماغك..خلّيها ليلة سودا على دماغك ..

تضغط سن المطواة ، يكرمش الفلوس ، يـزوم ، يسـحب صـدغه لينعكس ضوء اللّمبة النعسانة فى ركن العشة على صدغ دِهن كبير

: اتفوو .. أنا أحبل من كلب ولا ريالتك على جتّتى ..

(عشّة فراولة)

انت يا " حسين " ..

تدور بين العشش بجوعك ، رعبك ، امتلائك بالضعف .. تسـتقوى لما تقعد وسط شلة الشرب بمكانك عن شمال كبير القعدة " هـلال " العظيم ، تأخذ من بين إصبعيه متبتلاً سـيجارة " البـانجو " بعـدما يشعلها ويسحب نَفَساً عظيماً يليق بدماغه القوية ..

الآن .. لعيناً تتبصّص حولك ، تتسمّع للصمت والعتمة أمامك، خلفك فوقك، حتى لا يفاجئك المخبر الدهنى، أو يفتح بـوكس "الحكومـة"

كشافاته القوية فى عينيك ليعميك فتلتصق قدميك اللعينتين بالأرض .. وتنتبه على صراخك والسلك العريان يكهرب إستك فى قسم الشرطة، حيث أنت وهم والوطن فى خدمة الجحيم ..

لن ترجع العشة الآن .. غالباً أمك فى السرير تتلوَّى بين عضَّات الجوع الكافر وعطب كليتها، أبوك قاعد فى الركن يأكل كباب ويسِّب لها..

لن يرمى لها أو لك أى شئ ..

لا تنام ولا يغمض لك جفن يا "حسين" قبل طلوع الشمس ..عندها تعرف أن " الحكومة " لن تأتى لتكهرب إستك ..

(١)

"برّاد شاى فارغ، شيشة، تُمن حشيش، أعقاب سجائر ، رائحة لحم مطبوخ، لمبة نورة شهرية ، وربما ترك طفلاً فى بطن امرأته .. تلك بقايا ليلة الأمس"

" بدرى" يرفس امرأته يوقظها من فوق السرير الصغير ، تتناثر من تحت ملابسها أربع نقط دم توجعها (قالت له ليلة أمس : أنا عليّا الدم ايّاك تلمسنى).. دفعها للسرير وركبها .....

تأوهت ، لمحته يخطو من فوقها ورائحة عفنة تتساقط من بين فخذيه على وجهها ، تتسلق السرير ، تتحسس دمها يبصق على ظهره وتغمض عينيها..

لباب عشته تفادى " بدرى " خمسة أذرع ، سبعة أقدام ، بطن ورأسين لعياله .. قلب بطنين لظهريهما وظهرين لبطنيهما حتى وجد فردتى حذائه ..

باب الصفيح يصرخ وهو يواربه ..

يفرد إحدى يديه على جبينه يمنع نور الشمس عن عينيه، يعصرهما بسبابة يده الأخرى ليخرج قاذورات لزجة ، مع أول خطوة خارج العشة غطس حذائه فى كومة خراء صغيرة دافئة، تصاعدت رائحتها

الطازجة لأنفه، دخان خفيف يتبع الرائحة .. تلفت حولـــه ، شـــاف واحداً من عياله كاشفًا نصفه التحتانى يتقافز مقرفصًا يفتش عن طوبة يمسح بها مؤخرته، قفز عليه يمسح حذائه فى ظهره، الولـــد ينكفـــئ على وجهه يحاول أن يتخلص منه.. "بدرى" يشتمه

: يا وسخ يا ابن الوسخة ..

مسح حذائه واتجه للحمام ..

الولد يخلع ملابسه ، يتمرَّغ ، يفرك جسمه بالتراب ، يشتم

: يلعن أبوك

حمَّام صفيح ضيِّق .. الشروخ بين الصفيح تسمح لأى واحد ماشى أو واقف قريبًا من الحمَّام أن يشوف من بداخله وما يفعله/ تفعله .. تتناثر بأرض الحمام أصابع وفتافيت خراء، أوراق جرائد مكرمشـــة، قطع قماش مهترئ، طوب مستعمل، فى الـــركن صـــفيحة صـــغيرة صدئة بقعرها ماء أخضر، قالبين طوب أحمر مكســـورين للقعـــود، بينهما حفرة تتقيأ قذارة ، على الجدران رسوم بالجير لبـــزاز كبيـــرة وأفخاذ نسوان مفتوحة بعنف لأعضاء رجالى ضخمة تنزّ منها نقـــط بيضاء ..

الحمام لا يدخله غير البالغين ..

توقف "بدرى" آخر الطابور خلفك تماما يا " حسين " ، تمخط بقـوة، مسح أنفه بيده ويده بملابسه، أحسست عضـوه يلمـس مؤخرتـك، اغتظت، بعد اللمسة الثالثة التفتّ له، شممت من بين أسـنانه رائحـة "بولوبيف" فاسد ، سببت له الدين فى سرك ..

.. باب الحمّام ينفتح ، واحد يخرج من الطابور يشتم الدنيا

: يلعن أبو الطوابير لأبو الدنيا بحالها

واحد يرد

: لأبو أمها ..

يجريان للحمام ، واحد عند الباب يسحب سيفاً قصـيراً مـن تحـت ملابسه

: الدور عليّا يا اولاد الكلب ..

سيوف ، أمواس ، جنازير ..

تجرى مبتعداً يا "حسين"، تسمع صراخاً، تحس بسخونة فى الهواء، ربما بسبب الدم الذى يسيح عند الحمام ..

" حسين "..

تعرف أن أفضل وقت لدخول الحمام نهاراً أثناء عرض فيلم مثيـر، ليلاً أثناء المسلسل العربى.. لن تنسى أربعين دقيقة عشتها فى الحمام وحدك وقتما كانت العشش كلها تتابع الحلقة الأخيـرة مـن مسلسـل

"أوبرا عايدة" .. بعدما سمعت "موسيقى" النهاية بثوان كانوا يدقون الباب بعنف ويشتمونك ..

.. تقف فى الأمان بعيداً عن العراك، تلمح كتف "بدرى" قبلما يختفى بجسمه كله متجهًا كعادته "لعفاشة الكبداوى".. الشاب الثلاثينى أبو شعر خواتم، شارب يغطى شفته الفوقانية، عينين ملونتين ضيقتين، الواقف خلف حائل نصفه التحتانى ألمونيوم مكتوب فيه ببويا حمراء "كبدة ابن آدم"، النصف الفوقانى زجاج ملتصق به خراء ذباب وناموس مقتول، أمامه "طاسة" يغطيها الحبر، تحتها عين نار زرقاء، على الأرض كرتونة قديمة فيها عيش، زواحف صغيرة، رائحة غريبة ..

لا أحد يعرف ..

لماذا اختار "عفاشة الكبداوى" اسم "كبدة ابن آدم"، ما أعجبه فى هذا الكبد؟! لماذا لم يجعله كبدة ابن حمار أو ابن كلب أو حتى قط نسبة لمصدرها، ربما كان يريد تأكيد صلاحية كبدته للاستهلاك الآدمى.. بالغ فى تأكيده فلم يجد غير كبدة ابن آدم المسكين..

أو ربما يقصد تهديد أى ابن آدم تسول له نفسه العبث مع كبدته والكلام عنها من بعيد أو قريب بما لا يعجبه ..

مع ملاحظة أن "عفاشة" لم يكن دميماً لدرجة تسميته "عفاشة"، غالبًا المقصود "بالعفاشة" كبدته، لكنه يقبلها على نفسه ولا يقبلها عليها..
غامض جداً ، معدوم الكلام تقريباً .. مهما تضربه أو تشتمه لا يحس إلا لما تنطق بكلمة عن كبدته .. اسمه الحقيقى لا يعرفه أحد ..

يتوقف " بدرى" بمواجهة "عفاشة"، يتمخط مرتين، يمسح فى الزجاج وينقره بعظم سبابته

: رغيفين يا "كبداوى"

لا يبص له، يقلّب الكبدة مع الفلفل الأخضر وفتافيت "ليه خروف" تنثر تلك الرائحة المبهرجة فلا يميز أحد طعم الكبدة الحقيقى، رغم أن الكل يعرف أنها لقطط أو كلاب أو مصدر "عفش"..
"عفاشة" يجهز الرغيفين، يرميهما على حافة الألومونيوم "لبدرى"، يقضم أحدهما

: الكلب ده مسعور يا "عفاشة".. عايز واحد مشكل كلاب مع قطط

" عفاشة" يمسك سكينه ، " بدرى" يخطف الرغيف الثانى ويجرى.. يدفع بالليل..

لما يقف "بدرى" على فاصل الدهشة.. خلفه العشش، فى مدى بصره القريب العمارات العالية.. تكون يا "حسين" بين العشش ترقبه يمارس طقس الحيرة..

يركب أوتوبيس "عين شمس" المزدحم بالطلبة والموظفين ينشلهم ؟؟

.. يركب أوتوبيس "١٤ ج" يمارس لذة الالتصاق بمؤخرات الموظفات وبنات الجامعة ؟؟

.. يرجع العشش يوقظ "فراولة المومس" يسحبها لشقة طلبة "بمدينة نصر"؟؟..

"فراولة" ابنة أخ "بدرى"، يكبرها بخمسة عشر سنة، عاشرها ثلاث سنوات حتى منعته عن جسمها مع احتفاظه بكونه قواداً لها..

و.....

"بدرى".. يوشك أن يستقبل صيفه الأربعين الحار جداً، لديه عيال لا يعرف عددهم ولا أسماءهم، ليس لكثرتهم، لكن لأنه لا يهتم.. ما يهمه مزاولة لذّته المزمنة فى الالتصاق بالمؤخرات الطريَّة النظيفة – كما يعتقد– ، تدخين "الحشيش" بطرقه المتنوعة ، بيع المخدرات، أكل سندويتشات "عفاشة"، مضاجعة امرأته بمصاحبة صور الممثلات..

تلمحه يا "حسين" يتشعبط بأوتوبيس مزدحم بركاب منسحقين يتقيأهم من مؤخرته للأسفلت، لا تشوفه وهو يفلت بسرعة للأمام دون أن يلاحظه الكمسارى، ساعده فى ذلك زحام المؤخرات التى كانت تبتعد عنه بمجرد احتكاكه المستفز بها ..

توقف "بدرى" فى أضيق مكان بالطرقة، فوق الإطار الشمال الأمامى للأتوبيس خلف مؤخرة ماركة "دايو لانوس" -حسب تصنيفه-

.. يصنِّف كل مؤخرة حريمى حسب استدارتها ،ارتفاعها ، درجة صلابتها .. يشبهها "بالشنطة" الخلفية لماركة سيارة ..

بخبرته يختار التصنيف المناسب بالنظرة الأولى ..

يبدأ "بدرى" لعبته مع "دايو لانوس" بتصادم مفاجئ قوى متحججاً بالزحام، فى تلك اللحظة يعرف نية "الدايو".. لو شتمته بشكل حاسم يبتعد فوراً.. لو سكتت أو ترددت أو شتمته بشكل غير صريح كأن تشتم الزحام والحَرّ والحكومة التى لا توفر أوتوبيسات تكفى الناس فإنه يتابع باحتكاكات غير مباشرة ، يمسك بيديه عمود السقف لتكون "الشنطة " فى وضع مناسب بين فخذيه.. حكّات هيِّنة مع حركة الأتوبيس ، تزداد تركيزاً وثباتاً ، يشمشم له عن مدخل حتى يستقرّ فى فراغ وهمى بين فلقتين ، يبعد صدره عن ظهر " الدايو" حتى لا يشك فيه أحد .. يتابع بعينيه الإعلانات الملصقة على صفيح الأتوبيس

: وداعاً للبطالة .. شركة تطلب شباباً من الجنسين

بمرتب ثابت وعمولة..

أحدث أجهزة السمع بالتقسيط ..

أسرع جهاز لقياس السكر ..

الحجاب قبل الحساب ..

تغيبت نجاة مصطفى عبد الحميد بتاريخ ١٧/ ٥

لا يزعج " بدرى" غير صوت رجل يزعق من شريط كاسيت يشغله السائق فى كاسيت بابه مكسور

: " يـــا عاصـــى .. العـــذاب يـــا عاااااصـــى..

الهلاااااك يا كاااااافر ..

النااااار وبئس القرااااار" ..

يفتح " بدرى" الشباك يطرد منه صوت الرجل ، يراقب الســيارات الملاكى تجرى بسرعة ، وترمى له قِطَعاً موسيقية قصيرة صـــاخبة تحتها صوت يهيِّجه بزيادة "لروبى" أو "نانسى عجـــرم" أو "اليســـا" غالباً ..

لما تنكشف طرقة الأتوبيس يبعد عن "الدايولانوس".. يحس بنصـــف راحة / توتر، بلل خفيف فى لباسه المبقع بالمنى الناشف..

* * *

" حسين "..

تكره أمك ؟؟؟

عشر سنوات عشتها على الأرض قبلما تنقلب بكل قذارتها فوق دماغك ..

عايرتك أمك بولد يبيع حلاوة "غزل البنات" ويكسب "الجنيه"، فاشتغلت مثله لتكسب "الجنيه" ..

تهرب من مدرستك بعد الحصة الأولى ، ترجع لأمك التى تنتظرك "بغزل البنات".. تسرح به بين زملائك ، يعايرونك ، تترك مدرستك نهائياً..

تجهز أمك عليك بعدما تضغط على أبيك ليبيع حجرتكم فى "مهمشة" ويشترى العشة الحقيرة التى تسكنها الآن معهما :

خمسة أمتار داخل علب صفيح مفرودة، كرتون، قطع خشب حبيبى هش، عرق خشب مشروخ يحمل السقف، دولاب قديم بلا أبواب، تليفزيون ألوان عشرين بوصة، حرامى الدشّ، ڤيديو، بوتاجاز مسطح صغير، سرير متهالك بألواح مسوسة لأبيك وأمك، كنبة لك يا "حسين"..

لن تنسى "مهمشة".. كان أبوك يسافر "السعودية"، يكسب فلوس يصرفها على "الحشيش"، لكنه على الأقل كان يشترى لك جبن مثلثات لتفطر بها ، لم تكن تسرح "بغزل البنات"..

لما أخوك الكبير "لطفى" أحب ابنة عمه ولم يستطع الزواج بها انتحر.. انتحر ولم يمت، أجريت له ثلاث عمليات فى مستشفيات الحكومة، لم يسافر أبوك ليقعد به، فأمرضته رطوبة المستشفيات، شقَّقَ الروماتيزم ظهره فلم يسافر ليشترى لك جبن المثلثات .. بِعْت أنت حلاوة "غزل البنات " ..

لن تنسى أختك " أمينة " ..

"أمينة" كحليب الأمهات ..

تختبئ من الظلام فى حضنها، ترقب من فوق كتفها أشباحًا تشوفها وحدك تمشى وتتعارك على الجدران.. تحس بأصابعها تسرح فى شعر رأسك حُبًّاً، دقات قلبها تغلق بوابات الرعب دونك..

أتنساها وهى تشعل لك وابور الجاز تسخن لك الماء لأنك تخاف الساقع؟ تترك عريك ليديها وصابونتها تنظفك وتلعب معك ألعاباً مرحة ؟

لن تنساها يا "حسين" وهى تتلقى صفعات وركلات أبيك بدلاً منك..

تعرف يا "حسين" أنك لما تأخرت فى النطق اشترت لك لسان "الجدى" وطبخته لك وحدك، حملتك على صدرها ليال كثيرة ووقفت بك قُبالة "شرخة" مرآة تكلمك فيها لتفعل مثلها، لمَّا تحرك لسانك نطق باسمها أولاً.. نطقتها هكذا على مرتين:

أمى .. نة .. هل كانت أمك الحقيقية؟!

لن تنساها وهى تصرخ فيك : م تغمَّضش ..

تحملك تجرى بك فى الشوارع تحت الفجر وقدماك تضربان ساقيها بقوة ، تكلمك طول الطريق حتى لا تستسلم للمـوت وتطمـئن أنـك مازلت لها، تَحُطُّك تحت عيونهم فى السرير الأبيض ، يمررون لـك الموت من بينهم : هيموت ..

تخطفك منهم، تشق روحها نصفين أحدهما تحتك والآخـر فوقـك، تخبئك فيها ليرجع ملك الموت بدونك ..

.. وأنت ممدد على الأرض تلمحها قاعدة مربعة جانبك، بيدها قطعة بيضاء من ملابسها تحركها حولك لتدفع فيك هواءً نقياً، تبعـد عنـك الموت أزمنة ومسافات.. كلما تلمس بأصابعها جسمك الساخن تتأكـد أن فى عمرك بقية..

لن تنسى "أمينة" المنحنية على يد الرب تقبلها وهى تسرسب روحـك فى جوفك من جديد لأجلها .. لأجلها فقط ...

* * *

"حسين"..

فى الحادية عشرة من عمرك كنت هنا ..

هنا حيث الجحيم بالتأكيد أكثر رحمة ..

لن تنسى أول ليلة ولا الثانية ولا أية ليلـة، كـل الليـالى كهربـت روحك..

امتنع أبوك عن إطعامك، استمرت "أمينة" بإطعامك وكسوتك ..
تمنحك مصروفا يوميًا ثلاثة جنيهات من شغلها فى "عمر أفندى"..
اشتغلت مع أخيك "المنتحر لم يمت" فى مسحوق الغسيل المغشوش مع بداية ظهور شركة "إيريال" بجوائزهـا الكثيـرة ، كـان النـاس يشترون منكما بكميات كبيرة ..
تغش المسحوق، تسافر به مع "لطفى" للمناطق الريفية ، تبيع وتكسب فلوس حقيقية، ربما ثمانين جنيها أو أكثر فى اليوم..
لمَّا كبرت سنتين تزوجت "أمينة" وانتقلت لعشة أخرى، اشْتَغَلت أنـت فى "البلاستيك" و"السوليفان" .. كنت تكسب مائتى جنيه فى اليـوم.. تشترى البلاستك من زبالين "منشية ناصر" الطن بخمسمائة جنيه، بعد فرزه تبيعه بمكسب كبير، أو تشترى علب الحلاوة المكسـورة مـن مصنع "رشيدى الميزان" تبيعها لزرايب "منشية ناصر" لأنهم يملكون كسارات تكسر البلاستيك تحوله لحبيبـات تبيعهـا للمصـانع مـرة أخرى..
كنت تكسب بجد، لكن أخوك الحرامى يمر علـى التجـار دون أن تعرف ويأخذ الفلوس، يصرفها على زوجة لا تشبع ..
أنت لا تصرف على العشة ، لا تأكل مع أبيك ولا أمـك إلا نـادرًا، تشارك بفلوسك فى نصيبك من الأكل ..

لو توفرت معك فلوس لا تعطى أمك لتشترى علاج كليتهـا ، أبـوك يأكل الكفتة والكباب ويتركها تأكل الفول والعيش ، فكانت تخرج من العشش تخدم البيوت، تشترى علاجها لترتاح قليلاً قبلما تسحقها كليتها فتخدم من جديد ..

* * *

لو كان إلٰه الحب يملك قدراً كافياً من العقل ما تعارك مع إلٰه الجنون ومنحه الفرصة ليفقأ له عينيه، لذا لما احتكما "لزيوس" قضى عليهما أن يتلازما للأبد على أن يقود إلـه الجنـون المبصـر إلـه الحـب الأعمى..

بهذا صار الحب أعمى ومجنون ..

فى الثالثة عشرة من عمرك يا "حسين" فقأ المجنون عينيك.. أحببت.. أحببت "ترجس الحلوة"، لأجلها صاحبت أخيها "هلال"..

"هلال" العظيم فتح لك الفردوس العظيم وجعلك من العظماء ..

كل من يصاحبه لابد أن يصير عظيماً ..

هكذا قلت لنفسك ..

لن يحترمك أحد فى العشش إلا لو كنت مع "هلال" ..

هو أحسن من يشق بنى آدم بالمطواة، أقوى دماغ فى قعدة الشـرب، أخو "ترجس الحلوة"..

صرت عظيماً فى شلّة الشرب، الكل يحترمك ، لما تتعارك مع واحد وتشتمه يشكوك لعظيمك "هلال"..

أول مخدِّر تناولته ليقربك من " هلال" كان
المبجَّل : " باركينول parkinol \ صراصير" ..
وقتها كنت فى السادسة عشرة من عمرك تشتغل قهوجى.. أعطـــاك "الباركينولة" واحد صاحبك ووعدك إنك : ه تمشى على الهوا..
بلعتها، ضاعت منك دماغك ..
الزبون الذى يطلب منك شايا تنزِّل له كوب مـــاء، أعطـــاك المعلـــم "يوميتك"، رُحتَ لعيناً تضحك وتشوف حاجات تمشى وترقص فـــى الهواء وعلى الجدران فتقهقه لها وتطير بعيدًا..
بعد الحبة الثالثة أخذك صاحبك لصيدلية الدكتور "عصام"..
ظللت لثلاثة شهور تبلع "الباركينولة" كل يوم، حتى قال لك "هـــلال" العظيم إن "الباركينول" أوسخ مزاج وأنه "كيف العيال"..
سحبك من يدك لعيناً كما أنت..
أنعم عليك بالعظمة ..
فتح لك الفردوس ..
الفردوس العظيم ..

.. الآن .. أنت على الأرض منذ اثنين وعشرين سنة ..

ما رأيك يا "حسين " ؟ هه ؟

ما رأيك .....؟؟؟

(٢)

كما ..

كل المقهورين يفتشون بينهم عن بطل شعبى، مـن أجلـه يتحملـون الانسحاق تحت حذاء القهر.. يبصُّون لـه مـن تحـت بسـخرية ، يخرجون ألسنتهم يغيظونه، يضحكون حتى تجحظ عيـونهم طالمـا واحد منهم -المقهورين- لم ينسحق بعد ..

فكل المنسحقين هو هذا البطل الشعبى ، يفعلون أى شئ ليظل بطلهم بطلاً..

" هلال" هذا البطل ..

شاب فى منتصف الخامسة والعشرين من عمره، ورث عـن أبيـه المعلم "حسونة" شعر أشقر كثيف، عينين بالأزرق الفاتح.. لـم يكـن صاحب جسد ضخم مكتظ بالعضلات..

- عادة يكون الأبطال الشعبيين من غير حاملى العضـلات.. فقـط مشحونين بأرواح ناسهم المنسحقين -..

جسم "هلال" فى ملابسه عادى جداً، لما تشوفه عاريـاً هـو جسـم متناسق بأعصاب قوية، عضلات أنيقة بمقاسات صغيرة تسمح لهـا بالمراوغة ..

"تفاحة آدم" تبرز كهرم صغير بمنتصف رقبة "هلال"..

– عادة يكون للأبطال الشعبيين عضو فى الوجه يتميز ببـــروزه أو كبر حجمه ليشوفه الناس، ويخلق تلك "الكاريزما" الملازمة للبطل–..

المعلم " حسونة" والد " هلال " لو يضاجع امرأته الليلة فالعشش كلها تعرف باكرًا لما تمشى فاتحة رجليها قليلاً، رافعة مؤخرتها درجتين.. ربما يعرفون فى نفس الليلة لما تصرخ تحته، فتنتفض نساء العشـــش من تحت رجالهن يتحسَّرن على حظهن التعس، لأنهـــن لا يمـــتلكن الرجل الحفَّار ذى الآلة الفذة.. باكرًا يأخذها المعلم" حسونة" لصيدلية الدكتور "عصام"، لا يخلو الطريق من تعليقات التبجيل

: يسلم يمينك يا معلم ..

يعيش اللى رفعك يا أم هلال ..

ربما تكون إشاعة :

" أبو هلال " لا يأتيه النوم إلا وعضوه فى فرج " أم هلال " .. له عمود دهن بطول سلسلة ظهره يقدر أن يرفع به أربعـــة رجـــال أقوياء يتعلق كل اثنين منهم بأحد ذراعيه ..

ويضاجع امرأته بالساعات حتى تصرخ تحته وتقضم من السرير ..

كان لأبو هلال " دولاب" فى " الخرشاوية "_ أقوى منطقة لتجارة المخدرات_هى شارع طويل ضيق نهايته مسدودة ، على جانبيه عمارات قصيرة قريبة جداً من بعضها ، كل عمارة تبدأ ببوابة حديدية مفتوحة بعدها خرابة ، فى العمق يقعد "المعلم" جانب دولابه المقسم لأرفف ، والأرفف لمربعات صغيرة فيها جميع أنواع المخدرات .. يدخل الزبون بأمان تحت حماية " الخرشاوية " المتحفزين على أسطح العمارات ببنادقهم .. يعرفون كل الزبائن ..أىّ غريب يدخل ويتصرف بطريقة مشكوك فيها يموت فورًا ..

شارع " الخرشاوية " الطويل الضيق المسدود فى آخره لا يسمح "للحكومة" بالتدخل للقبض على التجار أو لفض المعارك ، فهو بهذا الحال يجعل من أية معركة مجزرة لن ينجو منها أحد ..

العمارات القصيرة المتقاربة تسمح بهروب سريع للتجار وصبيانهم .. " الخرشاوية " بنوا العمارات كأنها سلم كبير ، فارق الارتفاع بين عمارة وأخرى لا يتجاوز طابق واحد أو أقل ، لو زاد عن ذلك مصادفة يبنون طابقا للعمارة القصيرة لتصبح العمارات كلها سلالم يمكن صعودها وهبوطها بسهولة ، بالإضافة للسلالم الداخلية .. كل هذا يحفظه " الخرشاوية " ، مما يجعل هروبهم سهلاً جداً ، عدة قفزات يكون الواحد منهم بعيداً عن " الحكومة " و" الخرشاوية " ..

الأهم من ذلك قدرة " الخرشاوية " على التفاهم مع "الحكومة" ،عقد صفقات وتبادل مصالح بأسرع وقت، فيعتمدون " شهرية" بالآلاف للضابط الذى تقع منطقتهم فى دائرة شغله ..

لأن الضابط ملزم بالتحصل على عدد معين من القضايا ، كان يقبض على تجار المخدرات من غير دافعى الشهرية ، لو اضطر للقبض على أحد الدافعين كان يترك ثغرة قانونية فى القضية تضمن براءته.. ويكون هو قد سجل قضية بدفتره ..
فى الوقت الذى يمهد فيه " الخرشاوية " للتعرف على ضابط جديد يتوقفون عن البيع ويسرِّحون عيالهم بالمخدرات فى أماكن قريبة أو بعيدة يعرفونها ، أو يقوم صبيانهم بارتكاب جنحة يعاقبون عليها بالحبس عدة شهور يبيعون فيها المخدرات داخل السجن..

* * *

حادثتان :

مر " هلال " بحادثتين لا ينساهما ، إحداهما تكررت كثيراً قبل السادسة عشرة من عمره :

لمَّا يرجع المعلم " حسونة " من قسم الشرطة بعد حبس أسبوع أو أسبوعين، يبحث عن ابنه " هلال " قبل أى شئ ، لما لا يجده فى العشش يروح له " كورنيش النيل" ، يحمله فى حضنه للعشة ، يقعد به فى الركن ، يفرك له قدميه ، ينظفهما من التراب الملتصق بهما حتى يحمرّ كعبيه، يأخذه للحمام ولا يجرؤ أحد أن يطرق الباب ، يحمم " هلال " بالماء الدافئ والصابون أبو ريحة ، يرجع به لسريره المُرَتَّب .. يدخله حضنه لينام دافئًا ..

لم يفعل الرجل لابنه أكثر من ذلك ، لكنه كان كافيا ليحبه " هلال " جدًا..

الحادثة الثانية :

قبلما يتم السادسة عشرة من عمره بشهرين أو ثلاثة تعارك "هلال" مع شباب من عمارة الحاجة " آمال " ، شقوا له بطن ذراعه وأخذوا فلوسه ، لما رجع العشة ضربه أبوه على وجهه ، جرده من ملابسه كلها وطرده

: م ترجعش يا مَرَة يا خول إلا لو رجَّعت شرفك ..

من يومها .. لما يتعارك " هلال " أول ما يفعله أن يخلع ملابسه كلها .. كلها كما ولدته أمه .. لن يغلب إلا بذلك ..

* * *

منذ بلوغه السادسة عشرة ...

لم يغادر " هلال " العشش إلا هارباً " للخرشاوية "..

قبل هذا العمر كان يبيع المخدرات على "كورنيش النيل" مع البنت "فراولة" والولد "عوض ورنيش " ..

الثلاثة من عمر واحد ، يشتغلون بانسجام كامل كعصابة صغيرة يقودها "هلال" كأنهم يمارسون لعبة ممتعة يفهمونها جيداً ،لا يتعدون فى لعبتهم مساحة خاصة بهم قريبة من فندق خمس نجوم ..

"هلال" يمسك بفوطة صفراء وجردل فيه ماء ورغاوى صابون يمسح السيارات التى تقف قريباً منهم، "عوض ورنيش " يحمل فى كتفه صندوق الورنيش .. لما تمر قريبًا منه يرتمى على قدميك فجأة يحطّ إحداهما على صندوقه ، يبص لك من تحت وبين أسنانه حتة القطيفة الكحلى

: لمَّع يا بيه .. والنبى يا بيه والنبى ..

لا تعرف إن كان يتضرع لك أم يأمرك ، قبلما تعرف يبدأ شغله ..

"فراولة" تشتغل عند فكهانى صعيدى جاء من بلده بجلابيته ، وخمسين جنيهًا اشترى بهم " سبت " مانجو ، ظل يسرح به وبجوعه ليومين فى شوارع "الزمالك" الهادئة حتى باعه، صار "السبت" اثنين فثلاثة ، يقعد بهم جانب باب جامع أو فى ظل شجرة أو قريبًا من

إشارة مرور، يرشو العسكرى بأن يشركه فى غدائه مرة كل يـــومين (عيش وسلطة ، جبن قديم على طماطم) ..

تزداد صناديق الفاكهة وتتنوع لكنه لا يقدر أن يؤجر محلاً، يفـــرش على الكورنيش قريبًا من فندق خمس نجوم ، تتم إزالته آخر النهار ، يفرش أول الليل بين أشجار قصيرة لا يعرف اسمها مزروعة علـــى الكورنيش، لكنها تُؤَمِّن لـــه فرصـــة للاختبـــاء ، وقربـــاً معقـــولاً من الفندق..

لما " فراولة " تعرض نفسها لتشتغل عنده بأكلها فقط يوافق ..

" فراولة " لا تريد غير البعد عن العشش ، ومراقبة باخرة " الباشا " الراسية على النيل وترقص فيها راقصات ماهرات مثيرات جداً ..

تشتغل " فراولة " عند الفكهانى ، يحبها زبائنها ، كل زبون يناديهـــا بالفاكهة التى يفضلها حتى اختارت اسم " فراولة " لما ناداها أحدهم : "بطيخة " ، فقالت له : "فراولة " يا بيه .. " فراولة " ..

"هلال" ، "فراولة" ، "عوض" ...

ينظمون لعبة تبدأ بأن تحطّ "فراولة" تفاحة صغيرة زيـــادة للزبـــون ، تتبعه بالكيس لسيارته وقبلما تتركه فى الكرسى الخلفى ترمى الحبـــة "لعوض"، يخبئها فى صندوقه ، يعطيها الزبـــون بقشيشـــاً ، يســـرع "هلال" بفتح الباب المغسول للزبون

: اتفضل يا بيه ...

يفوز بجنيه ..

يرتمى "عوض" على حذاء البيه متضرعاً ، يتلقى غالباً رفسه هَيِّنة مهينة فى ذقنه أو صدره اعتادها وصار قادراً على تفاديها ..

يبيعون المخدرات بسهولة لبعض رواد الفندق وكثير من الزبائن يأتون بسيارت ملونة سريعة ..

لن يلاحظهم أحد ، لن يشك الفكهانى "بفراولة"، التفاحة الزيادة لن يتكلم بشأنها طالما " فراولة " لم تطلب منه أجراً ولا تشاركه غدائه منذ فترة طويلة ، الأهم أنه يعرف جيداً أن " الفرش" صار فى أمان تام بعدما تعرفت " فراولة " على شخصيات مهمة تحمى " فرشه " ..

أكلة واحدة فى الثلث الأخير من النهار يجتمع حولها الثلاثى .. شمس برتقالية تضئ بؤرة عسلية فى عينى " فراولة " ، أصابع "عوض" توسِّخ العيش، زيت الفول، الجبن الأبيض بالورنيش ، لما "فراولة" تقول له

:اغسل ايديك

:أغسلهم ليه ؟! هيتوَسَّخوا تانى

:وتاكل ليه ؟ ! انت هتجوع تانى

يبص له "هلال" بطرف عينه، فيغسل يديه بسرعة فى جردل المـــاء ورغاوى الصابون ويمسحهما بالفوطة الصـــفراء.. يرجـــع يوسِّـــخ العيش، الفول، الجبن بالورنيش..

كما يبيعون المخدرات فى السر لزبائنهم، يمارسون حياتهم كأرزقيـــة بشكل كامل ، ويكسبون فلوس قليلة ..

" فراولة " تقطع حبات التفاح الزيادة بمطواة " هلال " لشرائح صغيرة على مناديل ورقية ، تسرح بها بين الأحبة الفقراء على الكورنيش .. ترمى شرائح التفاحة فى حجر البنت وتقول للشاب

: حلِّى لها بُقَّها ..

" هلال " يُشغِّل الكاسيت القديم بشرائط لأغنيات شـــبابية ، "عـــوض" يسرح بصندوقه أسفل كوبرى "قصر النيل"، وفى الزوايـــا الســـرية يطفئ لذتها ببصاته وخبطات الفرشاة على الصندوق ، لا يبتعـــد إلا بعدما يُلمِّع بعض الأحذية .. يحرس كل بنت تأخر حبيبهـــا ، يقـــف قريباً منها دون أن تلاحظه ، يحبها فى دقائق التأخير، يتفرج علـــى بزّينها ومؤخرتها .. يفيق من حلمه لمـــا يظهـــر حبيبهـــا ، يخـــبط الصندوق بالفرشاة ينادى

: ألَمَّع .. أوَرنِش..

* * *

هذا تقريباً ما يحدث " لفراولة " و" نعيمة روبابيكيا " :

" فراولة " طول الوقت على الكورنيش ، تنطلق مع "هلال" و"عوض" كل ليلة خميس فى رحلة بالقارب، ترقص معظم الليل بـــلا تعـــب ، تتفرج على "أحلام" الراقصة فى باخرة "الباشا " ..

ترمى "فراولة" عينيها فى قلب "الباشا" بين الأضواء الملونة والدخان المُلْهِم ..

تدحرج عينيها تحت قدمى "أحلام" تتفرَّج عليها مـــن بـــين أصـــابع قدميها ، تتسلق بهما ركبتيها لتستقر إحداهما فى سرَّتها والثانية تحت الستيان القرمزى بين بزِّينها العرقانين ، تتقافز بهما على الطـــاولات وفى زجاجات البيرة تحمِّمهما برغوتها ، تبصّ جيداً فـــى الســـتائر الناعمة لتعرف إن كانت بلون الزبدة أم الأصفر الفاتح، تجرى خلف " أحلام " وهى ترقص بين الطاولات تنثر عطرهـــا الفـــاجر فـــوق الأدمغة ، تهتم بالكل ولا تهتم بأحد ..

.. هذا فى الثوانى القليلة التى يمر فيها القارب الملئ بالأحبة الفقراء قريباً من باخرة "الباشا"..

تسترد " فراولة " عينيها ..

تبقى روحها عائمة قرب " الباشا" و" أحلام"..

بينما " نعيمة روبابيكيا" تخرج كل صبح من العشش مع أبيها بائع الروبابيكيا ، تمسك بلجام الحمار الغبى أكثر من المطلوب تدور فى الحارات الضيقة تنادى

: روبابيكيا .. بيكيا ..

" نعيمة " تكره هذه الكلمة الخشنة ، أبوها يكره صوتها الذى لا يقفز للبيوت الواطئة المكتظة بوشيش وابورات الجاز ، ضجة العيال ، عويل العيانين ..

تبص لها النسوان من البلكونات القريبة التى لا تتسع لأكثر من صاحبة البيت ، وتزدحم بغسيل ينقط ماءاً رماديًّا ، تشير لها المرأة بالكبشة أو حلّة الطعام

: اطلعى يا بت يا " روبابيكيا " ..

يرميها أبوها داخل الشقق المكتومة تلملم الروبابيكيا فى حجرها وعلى دماغها ، تغادر بسرعة هاربة من رائحة طعام يقلب معدتها .. حلم " روبابيكيا " العظيم أن يموت أبوها ، أو يتزك عربة الروبابيكيا "الوسخة بنت الكلب" ويشترى عربة مثل عربة " عم سيد " .. يملؤها بالبالونات ، الحلويات ، برميل صغير ممتلئ بشربات أحمر..

"عم سيد " يبيع للعيال بحفنة أرز أو فلوس فكة أو فردة شبشب بلاستيك، " نعيمة " ليس لديها (شبشباً) ولا أمًّا تسرق شبشبها ، أبوها لا يعطيها فلوس إلا ما يكفى لقرطاس طعمية وكَبْشة فول ...

"عم سيد" يطبخ فى العيد صينية بالوظـــة ملونـــة بـــأحمر وأصـــفر وأخضر، يقعد بها فى الحارات القريبة ، ينصب مـــراجيح ، يـــزين إطارات الدراجات بكرانيش فوسفورية .. يقف بعربته وسط الشارع جانب عربة "أبو نعيمة" بيده مزماره يحوى به العيال ، يـــنفخ فيـــه فيلتفون حوله يرقصون ، يقف فوق عربته يتحزّم ويرقص لهم ، تقف "نعيمة" وسط الروبابيكيا تتوه معه رقصًا، يمسكها أبوها من رجليهـــا يوقعها فى الروبابيكيا .. يناديها "عم سيد"

: تيجى معايا ؟؟

: خدنى والنبى .. والنبى ..

يأخذها أبوها بعيداً ، يلحقها "عم سيد " يغطى دماغها بطاقية تحميهـــا الشمس ، يملأ يدها بقرطاس شربات..

"نعيمة" لما تكره أبيها جداً تشتمه فى سرها ، ثم تصالح روحها عليه حتى يجعلها تكرهه ، تشتمه ..

تصالحه ..

تكرهه ..

تشتمه ..

تصالحه ..

تكرهه ..

تشتمه ..

تتمنى لو ربنا يأخذه ويرجع لها أمها ، لكنها تعرف إن ربنا لن يفعل هذا ..

لو أبوها "عم سيد".. يكون اسمها "تعيمة بالوظة" أو "تعيمة شربات"..

* * *

" حسين " ..

تعرف " هلال " ،" فراولة " ، " عوض " جيداً ..

لما كنت تهرب من زملائك عند المدرسة، لا تبيع لهم غزل البنات حتى لا يعايرونك بأنك الولد الذى منعته أمه عن المدرسة ليبيع غزل البنات ويكسب خمسة جنيهات فى اليوم تأخذها منه كاملة ..

تأتى للكورنيش ، تمد يدك الخائفة "بغزل البنات" للأحبة الفقراء، تبصّ بعيداً حتى لا يتأكد أحد من ملامحك ويحتفظ بوجهك فى ذاكرته..

أنا متأكد يا "حسين" أن لا أحد يفعل بك هذا ويهتم أن يبصّ لك ، لن يحطّ أحدهم فى فمه حبة من "غزل البنات" التافه الذى تصنعه أمك بلا ذرة حب، قليلون يشترون منك لما تلحّ عليهم وانت مصرٌّ أن تبصّ بعيد، قبلما تبتعد يرمون ما اشتروه جانب سور الكورنيش ..

أعرف أيضًا أن هذا لن يؤلمك يا "حسين".. يهمك فقط أن ترجع لأمك بالجنيه ..

أنت لن تنساها لما كَوَت ظهر يدك بإبرة وابور الجاز بعدما أضعت نصف جنيه أرسلتك به لتشترى العيش.. قالت لك وقتها إن الجنيه عندها يساوى رجلاً ..

ما سيؤلمك على الكورنيش هو "البيبسى" الفارغة التى سيضربك "هلال" بقعرها على دماغك لما تدخل منطقة شغله ..

أخطأت يا " حسين " لما شتمك بأمك ولم ترد ، كأن شيئاً أمسك لسانك وجفون عينيك فلم تنطق أو ترمش .. ضربك فى قلبك لتنطق بأية كلمة ، كان يكفى أن تقول : حاضر هابعد .. لكنك لم تنطق ، أنطقك هو "بالبيبسى" الفارغة ..

لا بأس يا "هلال"، لن يكرهك "حسين" ..

لن يحمل لك أية ضغينة ..

كل كرهه وضغينته لأمه ..

على كل حال يا " حسين " جعلك " هلال " فيما بعد عظيماً وأدخلك الفردوس العظيم .. له الشكر.. ألف شكر...

ما لن تنساه وأنت شبه دائخ ودمك يسيح من خمس غرز مفتوحة فى دماغك هو الحضن الصغير الذى احتواك ، وشممت فيه الفاكهة ..

استقبلتك "فراولة" فى صدرها قبلما تقع ، حَطَّتك فى الظـــل، ربتـــت كتفك مرتين أو ثلاث لا تذكر .. لم تفعل معك أكثر من ذلك، لكنـــك لن تنسى غصن الفاكهة الذى سندك يوم الدوخة ..

"عوض" يضحك فى الخلفية ؟؟؟

ضربك بمشط رجله مرتين على باب إستك تماماً ..

* * *

انطفأت البهجة فجأة من الكورنيش باختفاء الثلاثى وتفرقهم بعدما تـــم القبض على "أبو هلال" ..

المعلم " حسونة " لم يكن يدفع "شهرية" للحكومة فلابد أن تنتقم منه..

أحضر الضابط وجهاً غير معروف من مندوبى الشرطة ، أعطـــاه فلوس ليشتري مخدرات من " أبوهلال " بعدما سجل أرقامهـــا فـــى النيابة ، دخل "الزبون الجديد" "لأبو هلال" وأعطاه الفلوس ، لما مـــد "المعلم" يده بالمخدرات ألصق مندوب الشرطة فوهة المســـدس بـــين عينيه، بسرعة ظهر الضابط معه جيش صغير وتـــم القـــبض علـــى "أبوهلال" ومصادرة "الدولاب" ..

السجن المؤبد " لحسونة " كان كافًا ليترك " هلال " رفاهيته على "الكورنيش" ويرجع العشش ، ينهى سياسة "الدولاب" ، يدشّن سياسة المراوغة والهرب من " الحكومة " ..
يبيع مخدرات ، لا يدفع " شهرية " ..

بهذا لم تفلح " أم هلال " فى إبعاد ابنها عن المخدرات والعشش أكثر من الست عشرة سنة الأولى من عمره .. كانت تعتبر وجوده على الكورنيش رحمة ، على الأقل هو ليس تحت يد أبيه كل الوقت ..
بينما أبوه يخطط لتوريثه "الدولاب" قريباً
: طالما إيده ف الشغل خلاص ..
يمده و" فراولة " و"عوض" بالمخدرات ، يعتبر الكورنيش سوق أمان ومصدر رزق جديد يسحبه معه " هلال" للعشش لما يستلم "الدولاب"..

"أم هلال" ..
لم تكن امرأة تهتم بالحلال والحرام ،لكنها لم تكن لتخسر "هلال" الذكر الوحيد لديها .. تحملت الكثيرمن أجله ، قضمت السرير وصرخت ما يكفى جيل من النساء المحظوظات .. جاء بعدما اعتلاها " أبوهلال" لسنوات ولم ينفخ بطنها .. فرغم آلته الفذة وعمود

الدهن لم ينجب "هلال" إلا بما يشبه معجزة .. لما جاءه "محروس بركة" واخترق قعدة الشرب متجهاً إليه لا يحوّل عينيه عنه، بيده رغيف عيش ناشف أكل نصفه ومدَّ يده له بالنصف الباقى دون كلام، قبلما يرميه المعلم " حسونة " بفحم الشيشة هتف له زملاء قعدة الشرب

: خدها وكُلها .. كُلها .. كُلها يا معلم .. خُدها منه ..

أكلها المعلم "حسونة "..

لما رجع لعشته وحكى لامرأته ارتمت على ظهرها فى الحال ، أمسكت ذيل قميص النوم بين أسنانها ، خلعت لباسها ، فتحت فخذيها .. صرخت بعزمها كله تحته وهو يحفر فيها ، ويصب فى قعرها بركة " محروس بركة " ..

الحضور العظيم " لهلال " بعد تسعة شهور بالتمام ..

لم يكن المعلم " حسونة " محتاجاً لنصف رغيف آخر من "محروس" لينجب " نرجس الحلوة " فيما بعد ..

* * *

هل "لفراولة " أن تبقى على الكورنيش تبيع فاكهة الصعيدى ؟؟ ترضى بمجرد الفرجة على باخرة " الباشا " ودحرجة عينيها تحت قدمى " أحلام" ؟؟

يكفيها التطلع للأدوار العليا فى فندق الخمس نجوم ، حيث الحفـلات الصاخبة ،الأضواء المكهربة ،ألعاب النار ، الأجساد العرقانة باللؤلؤ والخرز ؟؟

" فراولة " التى تَعُدُّ نوافذ حجرات الفندق ، تراقب متى تستيقظ وتنام كل نافذة.. تطير منها روحها مع كل حركة للستائر الناعمة ، تقعـد عبدة ملتصقة بسور النيل تتأمل الكائنات الدافئة الشبعانة تتمطى بكسل خلف الزجاج اللامع فتبدو لها كآلهة تسكن قِطعاً من السحاب ..

تقبل بأن ينتهى حالها بتنظيف مراحيض الفندق ؟؟ تغسـل أطبـاق آلهتها وتأكل قيئهم ؟

تكون امرأة تشوى الذرة على "الكورنيش"، حولها عيالها الملاعين ، وكل دقيقة تبص بطرف عينها المكسورة تفتش عن حلم قـديم فـى باخرة " الباشا " ؟؟

يقبل "عوض" إلا أن يبصق فى كل كئوس الخمر، البيـرة الفـوارة، العصير الملون التى يشربها كل من بصقوا فى وجهه أو رفسوه فـى صدره ؟

يقبل إلا أن يسب لهم بعلو الصوت ..؟

ولو قدر سيركب نسوانهم قبل سياراتهم ؟

يرضى أن يكون بائع البطاطا الواقف على الكورنيش ينادى بائساً:

يا بطاطا .. بطاطا ؟؟

" نعيمة روبابيكيا " .. ماذا تفعل بنفسها ؟

لماذا لا تتخيل أنت أو تكتشف بنفسك ..؟؟

اذهب للكورنيش ..

عند الفندق ..

جرب .. نادى بعلو صوتك

: "فراولة" .. "نعيمة" .. "عوض " .....

(٣)

بعد خروجك مباشرة من الباب الرئيسى "لمحطة مصر" يقابلك مدخل محطة مترو، وكشك زجاجى كبير نسبيًا يبيع مكالمات التليفون، البسكويت، السجائر، مقرمشات الذرة والبطاطس، الشيكولاتة و"الحاجة الساقعة" للطلبة والمسافرين..

لن تتكلم فى تليفون الكشك لأنه يسرقك فى الدقائق ..لا تعرف كيف يفعل ذلك..

لن تشترى البسكويت والمقرمشات لأنها لا تشبعك ،ولأن الكشك يبيع الكثير من بضاعته بزيادة ربع جنيه عن سعرها الأصلى ..لا تعرف لماذا ..

لأنه فى مدخل المحطة ؟ .. طظّ !!!!

بعد تجاوزك للكشك تحتار ثوان كيف تمر بين التاكسيات المغسولة المرصوصة جانب بعضها تنتظر واحداً غيرك يحمل حقيبة فخمة وتظهر عليه النعمة ، يتجاهلك السائقون ، تتجاهلهم ، تمر سريعاً بين التاكسيات، تبص بعيداً بتركيز، تكرمش حواف عينيك بما يناسب واحد مهتم بقراءة رقم أوتوبيس من أبو تذكرة بربع جنيه أو نصف جنيه على الأكثر ..

.. بعدما تركت وراءك المحطة ،الكشك ، صف التاكسيات.. تتوقع أن تدخل مباشرة فى مشهد تتحرك فيه عينات من ناس تُعبِّر عن روح المدينة ..

هكذا تفعل كل المدن الكبيرة فى الدنيا خاصة القديمة منها ، تستقبلك بروحها الصريحة جداً ، تشعرك فوراً بضجيج قلبها قبل أى شئ ..

فيما تتوقع ذلك .. بالأدق تتمناه –فأنت تقريباً تعرف ما حدث للروح التى والقلب الذى تقصدهما – تفاجئ عينيك مساحة كبيرة فارغة تافهة جداً .. لم تتعوَّد هذا الفراغ أبداً ولم تقبله ، لذا تفاجأ به فى كل نظرة ..

المساحة التافهة جداً على شكل دائرة يدور فيها سورين – عليهما لعنة الناس أجمعين– ارتفاعهما متر ونصف ، لا تعرف أين يبدآن وينتهيان .. تتأكد أنها متاهة أخرى ..

المتاهات .. الشئ الوحيد محكم الصنع هنا ..

تلك الأشياء اللَّعينة ، وما أكثرها، هى التى تعلم الناس سب الدين ووساخة اللسان..

عليك الآن أن تقفز من فوق السور أو تدور معه لتجد سوراً أكثر ارتفاعاً وغباءاً، لا داعى لأن تسب الآن.. تفعل ذلك كثيراً فيما بعد.. لا تقلق ..

تتذكر فتحتين متجاورتين تم تنفيذهما بخلع أربعة قضبان من السور بمعرفة العامة المنسحقين الذين اعتادوا الحبس على مر الحقب التى سحقتهم، فتأصلت داخلهم روح الهرب اللذيذ .. الهرب من كل شئ..

بعد خروجك من المتاهة كنت تشوف تمثال " رمسيس " _ صاحب الميدان_ قبلما ينقلوه ، واقفاً وقفة حميمة تحفظ للملك إنسانيته، حوله ناس أرزقيَّة بينه وبينهم صداقة حقيقية ، خاصة " أم حنان " التى كانت تعتبر نفسها شريكته فى المكان بموجب عقد سرِّى بينهما .. أضافت فى ظهر العقد زواجها به ..

.. كانت كل يوم قبل طلعة الشمس ترصّ " نصبة " شاى فى الحديقة الصغيرة عن يمين "رمسيس"، يسمح لها موقعها برؤية كاملة له دون عوائق، ويقدر أن يمد يده يأخذ منها كوب الشاى ..

"أم حنان" تفرد على الحشيش المنتوف كرتونة شيبسى بحجم عائلى ، تقعد عليها تفرشها بمؤخرتها الهائلة بفائض واضح على أطرافها ، جلبابها مشدود من الخلف بطول واتساع سلسلة ظهرها ، مشفوط بإصرار بين فلقتيها ..

شفاه سمراء تدحرج صباحات بيضاء "لأم حنان"، أياد مبلولة بالطلّ تتراص مفتوحة حول لهب وابور الجاز .. " كنكة " صغيرة تغرق

بشفتها التحتانية تحت سطح الماء المغلى فى حلـــة علـــى الوابـــور، وتصب فى الأكواب النظيفة على ملعقتين سكر وملعقة شاى ..

زبائن "أم حنان" هـــم ســـائقو التاكســـى، الميكروبـــاص، البيجـــو، الأوتوبيسات، الفواعلية، المنسحقين ،عساكر المرور ، بعض الطلبـــة والمسافرين المنتظرين فَرَجَاً لن يمر من هنا ..

لم يكن شاى "أم حنان" أو أىّ منبِّه فى الدنيا قادرأن ينبِّه أى دماغ من أدمغة زبائنها أو يثبِّت أية لقطة من حياتهم أمام عيونهم .. ثمة شئ مدوِّخ جداً جداً فى الهواء ..

تفتح " أم حنان" فمها لآخره ، تشد من تحت سرتها " شخرة " غليظة يسمعها نصف الميدان ، تشتم " الحلاق" الذى ظهر فجأة وقعد خلفهـــا على الأرض بمواجهة زبونه يشتغل بالمقص فى رأسه ليتطاير شعره فى أكوابها النظيفة ، يتجاهلها الحلاق ، تشد له " شخرة " ثانية مـــن قعر بطنها يسمعها من لم يسمع الأولى ، يرفع يده يقصقص الهواء : غَطّى كباياتك يا مرة ..

تنتفض " أم حنان" تخنق : "حـــلاق الحميـــر" بملابســـه .. يهـــددها بالمقص، توقعه على ظهره ، تثبته بقدمها الثقيلة فى وضع الـــذبح ، تفتح مقصه على رقبته .. يسحب زبونه إلى حيث لن تشوفه ثانية..

"أم حنان" لم تهتم بصدرها الخمرى المفتوح لغاية علامة الثمانية المهيِّجة بين بزِّينها الكبيرين اللذين لا تبالى بارتجاجهما الواثق المستفز، ولا بخط العرق الذى يملأ قناة ساخنة بينهما، واللون الخمرى لما ينكشف جلدها المختبئ من الشمس، لا تشم رائحة البطاطا المعسولة الملسوعة باللهب الصافى حتى الشبع المتصاعدة من بين فخذيها.. تنتشى بدفقات الهواء التى ترطبهما ضد نار الوابور..

لم تهتم ..

جسمها الضخم والأصوات التى تشدها من قعر بطنها لترميها بوجه أولاد الكلب جعلها لا تتصور أنها يمكن أن تكون فى نظر الكثيرين امرأة مطهوة تماماً فى فرن الأنوثة الكاملة، تحت جلدها مضخات لفتنة ما، أنهم يتعاطونها مع شايها فى أدمغتهم وبين العظم واللحم..

" حسين "..

تحترم جداً المؤخرات الكبيرة.. تعتز بصاحباتها..

كلهن عزيزات على قلبك..

لن تنسى " أم حنان " لما فاجأتك وهى تمشى مشيتها المغوية راجعة من عند "رمسيس" لحديقتها ..

ماذا كنت تفعل فى هذا الوقت المتأخر جداً أو المبكر جداً ؟؟

كنت راجعاً من عزبة "الوحايد" بعدما شبعت فرجة على أفلام السكس وانهرت تماماً مرات كثيرة ؟؟

كنت تشترى شيئاً لعظيمك " هلال" ؟؟

تبحث عن خلاص ما ؟؟ .. أقصد خلاصاً من حياتك ..

فاجأتك " أم حنان" وهى تمشى بتؤدة وحكمة يليقان بحملها الثقيل ، كلما ترفع رجلها اليمين تحجب فلقتها اليمين عنك مدى الرؤية فى الجانب اليمين من الشارع .. ترفع رجلها الشمال فتحجب فلقتها الشمال الجانب الشمال من الشارع ..

– ضحكت شلة الشرب كثيراً وأنت تصف لهم مؤخرة " أم حنان " بهذا الإعجاب –

توقفت يا "حسين" على بعد خطوات من " أم حنان " تُؤمِّن لنفسك رؤية شاملة متفحصة للموقف ، لم تنتبه إلا وهى تشتمك

: بتبصّ على إيه يا خول؟!

كانت قعدت وأنت مازلت فى ذهولك

: يا خول ..

قالتها ثانية وضحكت ، ضربت بلحم يدها على الأرض

: تعالى اقعد ..

قعدت جانبها تكاد تنصهر فى مجالها الحيوى ..

اكتشفت لنفسك يا "حسين" مكاناً فى الدنيا يريحك ويسعدك بالإضـــافة لقعدة الشرب..

"أم حنان" لم تهتم وتفكر وتعيد النظر والتفكير إلا فى ابنتها التى تلعب حولها وتنام تحت بطانية بمقاسها ..

خارج الحديقة.. فى الجهة المقابلة "لأم حنان" يقــف " الشــرنوبى " بمكان يسمح له يشوف "رمسيس" مع بعض إعاقــات محتملــة لــن تضرّ..

"الشرنوبى " يقف خلف مستطيله الخشبى المرصـــوص باســطوانات الشهوة وشرائط أفلام شبه جنسية يونانية وتركيــة ، وأفــلام نفــذّها ممثلون مصريون فى بدايتهم الفنية أو فى سنوات تهجيــر الممثلــين "للبنان" ..

الأسطوانات والأشرطة مغلفة بأجساد شبه عريانة وعناوين لا تخلــو من كلمات :

جسد ..

نار ..

رغبة ..

الحب ..

امرأة ..

المتوحشة ..

أسماء ممثلات مثل:

چاكلين ..

شوكت ..

ناهد ..

أوعناوين لأفلام مشهورة :

بطلة فيلم "سيدة الأقمار السوداء" فى فيلم "امرأة من نار" ..

فى جنب المستطيل الدهانات السرية للعائدين لزوجاتهم فى الإجازات، المجندين والمكبوتين، الروائح النفاذة رديئة الصنع، حبات "جوزة الطيب" مع وصفة مجانية أثيرة عن : جوزة الطيب مبشورة مع شيكولاتة أو حلاوة طحينية على نار هادئة ، تُقَسَّم لمكعبات صغيرة ، تُجَمَّد فى الثلاجة .. تُستَحلَب قبل السكس بساعة ..

لما تقترب من " الشرنوبى" تتفرَّج على اسطواناته يتفحصك ثوانى ليعرف جوعك وطلبك، يقترب منك، يهمس فى أذنك وهو يهرش عضوه بتلقائية

: أؤمر يا برنس .. عربى ولا أجنبى ؟ ؟

لا ترد ..

يطمئنك

: م تخافش .. نفسك فى ايه ؟ ..

لا ترد ..

يغمز لك بعينه

: دهان جامد ..

لا ترد ..

يقول بنفاذ صبر

: طب أشوف لك حاجة عربى ؟؟..

لا ترد ..

يتركك ، يستند للسور يراقب جوعك بقرف ..

"أم حنان" تصاحب "الشرنوبى"، تغرى زبائنها ببضـــاعته الرخيصـــة الممتعة بعدما تتفرَّج على أغلفة اسطواناته وبـــزاز البنـــات المثاليـــة بشكل يغيظ، تضرب بزِّينها

: مش كوم اللحم ده ؟! زى م أكون رابطة عيلين على صدرى ..

: فى ناس تحب اليامة عشان تبلبط ..

: وحياة امك ..

يعجب "الشرنوبى" بمؤخرتها جداً ، يصاحب ابنتها جداً لما يمسح كفها برأس زجاجة "ريحة " صفراء ويقسم معها سندويتش الكبدة أبو ٧٠ قرش من مطعم " على بركة الله " ..

حطَّ " الشرنوبى " جانب مستطيل الشهوة لافتة من الكرتون مكتوب فيها بخط عريض : ٣٠ قرش دقيقة المحمول (تحتها بخط رفيع) ١٥ضريبة + ٥ دمغة ..

ينزل الركاب من الأوتوبيسات قريباً منه يتصلون من موبايله، فى جيبه كروت لشخصيات غير مهمة وصحفيين مغمورين لن يهتم بهم، عساكر المرور تركوا نمرته مع أهاليهم فى البلاد البعيدة ليطلبونهم على موبايله فى الطوارئ .. يحاسبهم نصف مكالمة..

لما يزهق من لسعة الشمس يهرب فى ظل " رمسيس" ، يلصق ظهره بقاعدته الأسمنت ، يغمض عينيه دقائق ، يقوم بعدها فائق جداً ..

آخر الليل يتسلى بصور سكس أبيض واسود سَجَّلها فى الموبايل ، يتفرج عليها مع البائعات ويمد يده فى اللحظة المناسبة ..

حسين ..

"الشرنوبى" مورِّد أفلام السكس لشلَّة الشرب ..

يرسلك "هلال" له ، يمنحك أحدث الشرائط لتشغِّلها فى الفيديو أبو بابين وريموت كنترول الذى سرقته بنفسك ..

لا تحب الفرجة الجماعية مع شلة الشرب ، لا تستمتع إلا لـو كنـت وحدك، أو وسط ناس لا تعرفهم ولا يعرفونك كما فى قهاوى عزبـة "الوحايد" .. تكون فى حالة أكثر حماسية وتنافسية كأنك فـى اسـتاد ملئ بجمهور متحمس ، تتفاعل ، تهلِّل للُّعبة الحلوة ، تسخن ، تصرخ بعلو صوتك ولا يلتفت لك أحد .. براحتك تمامًا..

تشغِّل الشريط للشلة ، تقعد وحدك آخر العشة، تعيش مـع عفاريـت دخان البانجو، لا تهتم باشتعال العشة وزملائك والتليفزيون ..
تنتهى الليلة، بدلاً من أن ترجع الشرائط "للشرنوبى" فوراً ، تـروح بها لعشتك حيث أمك الآن تخدم فى البيوت لتعالج كليتهـا ، وأبـوك يشتغل على " لودر " المقاول الصعيدى ..
تتفرج يا "حسين" وحيداً لعيناً كما أنت وتنهار .. تنهار .. تنهار حتى تصير مسكيناً مثيراً للقئ ..
كان أصعب موقف فى حياتك لما ضبطتك أمك تمارس العادة السرية مع قميص نوم أختك الصغرى " نورا " ؟؟

"رمسيس" ..
الآن ليس لديك فرصة مع " أم حنان " وأصدقائك بعدما نقلوك مـن ميدان "باب الحديد / رمسيس "للمتحف المصـرى الكبيـر" بمنطقـة الهرم..

ما هذا المكان الغريب ؟؟ تتساءل ؟؟

متحف ؟؟!

مكان ناعم مكيف معطَّر ، لن تمسسك فيه الشمس أو يتراكم على وجهك الدخان والغبار، ناس يعاملونك بالمدعو " تحضُّر " ، يمنحونك ما يسمى "احترام يليق بك " ..

يعاملونك برقة مقرفة جداً .. تتحمل ذلك ؟؟؟

لست متاحاً الآن ..

الفرجة عليك بفلوس ..

لكنك لن تحسّ بالعظمة لما تشوف كل تلك الوجوه تتفرج عليك وتتهامس بما لن تعرفه أبداً ، تحسّ بشئ غريب كأنك تحفة/ فرجة أو مجرد تمثال لملك قديم ..

لما تحاول الهرب لن تقدر أبداً أبداً ..

تحرم من الشارع يا "رمسيس" ..

وسط الناس كنت تترك قاعدتك الأسمنت وتمشى بين المنسحقين فرحان، رأسك برأسهم تقزقز لب أو تلف سندويتش طعمية، تقرفص عند بائع المجلات القديمة تتفرج عليها، بسرعة تقطع صفحة ملونة تدفسها فى جيبك الخلفى، تتشعبط بأى أوتوبيس أو "رفرف" ميكروباص ليلسع الهواء وجهك ويفلفل شعرك ، تبوس بكتفك كتف

بنت مستعجلة أو تلمس بزّها فى الزحمة ، تغازل واحدة حلوة تقول لها : أحبك يا ابيض .. عاشقك يا سمارة ، تغامر مع "صيدة".. تخرج لها من جيبك طرف ورقة بعشرة وتقول لها بجرأة إنك تحت أمرها وشقتك قريبة... تدخل أية "غرزة " تعدل مزاجك بتُمن حشيش، تمتع نفسك بطبق كشرى حامى تقعد بعده فى الدفء الشهوانى جداً لشريكتك "أم حنان" وتأخذ من يدها كوب الشاى الخصوصى ..

تتلصَّص على فخذها الخمرى المهيِّج ..

تتلصَّص هى على انتصابك الفرعونى المهيب ..

فجأة تدفس وجهك بين بزِّينها، تغيب حتى تمتص توترك ، ثم تتمدد على الأرض تريح دماغك على ركبتها..

كنت تتسلل آخر الليل للحديقة تدخل مع "حنان" تحت بطانيتها أو فى حضن أى واحد من المنسحقين تنام .. لو جُعت وأنت مفلس تحشر نفسك بينهم تشاركهم أكلهم ..

ضحكاتك تختلط بالضحكات ، دموعك تمسحها بأى كم أو طرف فستان قريب ..

بسهولة جداً تُنزل لباسك تبول أو تستمنى ولا يلاحظك أحد ..

فى المتحف .. انس طعم الشاى ، الكشـــرى ، الفـــول ، الطعميـــة، الطرشى المشكل، الفطير، المش، العسل الأسود، عصـــير القصـــب، رائحة الكبدة ، السجق .. "دماغ "الحشيش، الصخب، الزحام، "شخرة أم حنان" وضحكتها العالية جداً ..

لن تشوف أفيشات نجوم ونجمات الأفلام ، المزيكا ،الإعلانات ..

تُحرَم حتى من لمسة يد على جسمك ..

لن يقترب منك إنسان بما يكفى لتكون حيَّاً حسَّاساً ..

ممنوع تتحرك.. تنطق.. تتنفس.. ترمش.. تضحك.. تبكى.. تعرق.. تستحم.. تجوع.. تعطش.. تحس.. والسكس طبعًا.. حتـــى تتحـــول قطعة حجر طويلة عريضة ..

ينعمون عليك بلقب تضحك منه كثيراً .." ملك " ..

"ملك" ؟؟! ما هذا ؟؟!

لن يؤنسك أحد فى ليلك الذى يبدأ مبكراً جداً ، صامتاً جداً ، معتمـــاً جداً بشكل مرعب لم تعتده .. تخاف ؟؟ تبكى ؟؟

"أم حنان" ليست هنا .. لن تُهيِّجك امرأة غيرها أبداً

شايها .. دفئها .. فخذها .. صدرها .. شبقها بك .. حنانها عليك

بدلاً منك فى الميدان حددوا بالأسمنت مساحة سخيفة زرعـــوا فيهـــا حشيش قصيراً جداً، ومنعوا الناس من دخولها ..

شَرَّد المسئولون أصدقائك ..

انتقلت "أم حنان" لموقف "السبتية" القريب، لن تواجه صعوبة فى الحصول على زبائن بمجرد أن تنصب قعدتها .. فقط تمارس فن "الشخرة" عدة ليال حتى تثبت نفسها فى المكان وتُؤَمِّن نصبة الشاى.. "الشرنوبى ".. ربما يقف فى شارع " الجلاء " قريبًا من مسرح "الفن" أو يتقدم مسافة محطتين أوتوبيس متجاوزاً " الجمعية الشرعية الرئيسية " ليصل محطة "الإسعاف"، يدخل شماله عدة أمتار فى شارع "٢٦ يوليو" فيتقاطع مع شارع "رمسيس"، يعبره ليكمل فى "٢٦ يوليو" حيث يبدأ هنا بمحل عصائر "البنهاوى" عن شماله ، يمينه " دار القضاء العالى " ..

بهذا يكون "الشرنوبى " على بعد أمتار من سينما " ريڤولى " ، يغريه الانتقال جانبها.. يستقر هناك ..

"رمسيس " المسكين ..

مازال الميدان محتفظاً باسمك _ ميدان رمسيس _ .. إلى متى ؟؟

.. لن يكون لك فرصة تقريباً لتشوف "أم حنان" ، "حنان / حنُونة"، "الشرنوبى" ، وباقى أصدقائك ..

لن يكون لهم فرصة تقريباً ليشوفوك ..

يفتقدونك جداً..

أصدقائك ..

تفتقدهم جداً قوى خالص موت ؟؟؟؟

(٤)

تقول امرأة قديمة ..

جسم المرأة على شكلين :

الأول كمثرى ..على شكل ثمرة كمثرى ..

الثانى تفاحى .. على شكل تفاحة ..

الجسم الكمثرى فيه الخصر والأرداف أعرض من الصدر .. شكل ثمرة الكمثرى لما تمسكها فى وضعها الطبيعى تجد قاعدتها / أردافها أعرض من قمتها / صدرها ..

العكس فى المرأة التفاحة .. صدرها أعرض من أردافها .. ثمرة التفاح أيضاً لما تمسكها فى وضعها الطبيعى ..

يتفاوت جسم المرأة بين التفاحة والكمثرى ، تجد كمثرى مثالية أو شبه كمثرى ، تفاحة مثالية أو شبه تفاحة ..

تقول المرأة القديمة ..

المرأة الكمثرى أكثر أنوثة وخصوبة من المرأة التفاحة ..

" فراولة " كانت "كمثرى" مثالية لكنها لم تنضج ما يكفى لتشتغل راقصة بأحد القوارب العائمة فى النيل المخصصة لفسحة العامة والأحبة الفقراء..

تركت "قراولة" الفكهانى الصعيدى فصار "فرشه" بلا حمايـــة وتمـــت إزالته سريعاً ، انتقل الصعيدى " للحى العاشر " " بمدينة نصر" حيث مملكة الصعايدة .. يملكون هناك كل القهـــاوى ، محـــلات عصـــير القصب ، ثلثى المطاعم المتخصصة فى الفول ،الطعمية ،الكشرى .. بعضهم يملك عمارة عالية ..

يبدأ الفكهانى منهم تجارته بقفصين فاكهة متنوعة ، معـــه بطـــانيتين للقعود والنوم، إحداهما تحته والثانيـــة فوقـــه ،" كلوبـــاً " للإنـــارة ، "سبرتاية" للشاى..

يقعد بهم على إحدى النواصى المتفرعة من الشارع الطويل الممتـــد من بداية "الحى السابع" وينتهى أول " القاهرة الجديدة" مروراً " بإنبى للبترول"، "الحى السويسرى" ، محطات "المثلث" ،"الجامع"،"المدرسة"، موقف "الحى العاشر"، " زهراء مدينة نصر" ..

بعد شهور قليلة يؤكد الصعيدى وجوده بزيادة عدد الصناديق وتظليلها بخيمة من قماش قوى ، وإضافة الطبيخ لطعامه ..

تصير القعدة " فرش "..

سنة أو أقل من سنتين ثم ينتقل بين العمـــارات أو لأحـــد الأســـواق الداخلية الصغيرة يُؤجِّر محلاً ، يفاجأ بوجود الكثير من الأفارقـــة ، خاصة السودانيين ..

يندهش أكثر للآسيويين بأعدادهم المتزايدة وأجسامهم الصغيرة النشطة، يفرشون فى أماكن ذكية بالسوق وبين العمارات، يعتاد عليهم، يكتشف أنهم ودودين مرحين رغم جديتهم، يفهمون جيداً فى البيع والشراء، يبتكرون أنواعاً من البضاعة السهلة الغير مكلفة، تثير إعجاب المصريين ،يكسبون بها مكاسب صغيرة ..

الآسيويون اكتسبوا الكثير من حيل وفهلوة المصريين وأضافوا إليها من إبداعهم ..

لما يسألهم الصعيدى -أو غيره- عن سبب أنهم كلهم يشبهون بعضهم البعض وهذا يضايقه، يؤكدون له أن المصريين هم من يشبهون بعضهم البعض ، وهذا لا يسبب لهم أية مشكلة ..

أحياناً يفضل الصعيدى ألاّ يغامر بدخول السوق ، يستمر فى مكانه على الناصية أو محطة الأتوبيس قابضاً على حفنة زبائنه المعروفين..

" فراولة " ..

استمرت على الكورنيش لتحقق حلمها فى الاقتراب من باخرة "الباشا" والراقصة "أحلام".. إلا أن أحداً من أصحاب القوارب لم يقبلها راقصة على قاربه لعدم امتلاء بزّينها ومؤخرتها ما يكفى ..

يعمد الكثير من أصحاب القوارب لتشغيل شابة ، لا يهم أن تكون جميلة، المهم أن تمتلك جسداً مثيراً ..

ترقص الشابة فى القارب بملابسها العادية ..

عادة تلبس بنطلون چينز يقضم فى مؤخرتها الممتلئة خفيفة الحركة ، "تى- شيرت" أو " بادى " أو قميص ضيق يبرز بزِّينهـــا الكـــفـــء .. ترقص على مقدمة القارب وهى راسية على الشاطئ ليشوفها الزبائن على الكورنيش ..

تركِّز فى رقصها على مؤخرتها ، صدرها ، بطنها .. مستعينة بمـــا تتابعه فى الفضائيات ومطربات الكليبات العريانـــة ، تضـــيف مـــن إبداعها بمصاحبة موسيقى صاخبة من كاسيت قوى وسماعات مثبتين عند مقدمة القارب..

تصاحب الموسيقى أغانى شعبية ،أو أغانى وقصائد " لأم كلثـــوم " بأصوات مطربين شعبيين غير مشهورين مـــع توزيعـــات موســـيقية جديدة راقصة وتبديل لبعض كلمات الأغنية الأصلية ، أو التوقف عند إحدى الكلمات المميزة فيها وتكرارها مع الرقص عليها .. ككلمة "سكارى" فى قصيدة "الأطلال" :

سكارى .. آآآه .. سكارى .. آآآوىىى..

.. مطرية .. شرابية .. اسكندرية ..

اسماعيلية بلد الغريب .. ولاااااااااه ..

تحية غالية لطنطا وعسل طنطا ..

الواد ده لونه عاجبنى .. قول يا نجم ..

.. سكارى .. سكارى .. سكاراااا..

ترقص الشابة على مقدمة القارب ، قدر ما تكون مثيرة كفئاً قدر ما تجذب للقارب من زبائن مرصوصين على سور الكورنيش يتفرجون عليها ، بينما يدعوهم شاب لنزول القارب

:اتفضل يا روش ..

اتنين جنيه بس يا روش ..

.. ترقص الشابة طول رحلة القارب فى النيل ..لا تتعدى ربع ساعة..

مسموح للزبائن بالرقص معها..

يبدأ شغلها أول الليل ، ينتهى الواحدة صباحا، يمتد للثالثة أو الرابعة فى الصيف ..

لا يزيد أجرها عن عشرة جنيهات..

فى البداية قبلت "فراولة" بشكل مؤقت أن تبيع المشروبات الباردة والساخنة فى القوارب ، مما يُؤَمِّن لها الاقتراب عدة مرات كل ليلة من باخرة "الباشا" والراقصة "أحلام"..

بعد مدة قصيرة اشتغلت "فراولة" راقصة فـــى قـــارب " العمـــلاق" ، سحقت كل الذكور على "الكورنيش" بعدما مرمطت جسمها الكمثـــرى بالكامل وسحقته تماماً ، ساعدها فى ذلك بامتياز عمها " بدرى " ..

"فراولة" ...

الوحيدة تماماً ..

لا تعرف إن كان أبوها مقتولاً أو مسجوناً ، تعرف أن أمها ماتـــت قبلما تكمل رضاعتها بأسابيع..

عمها " بدرى " تناديه باسمه مجرداً ، تحسُّه غريباً عنها ..

هو .. رجل افتضها فى الحادية عشرة من عمرها ..

استيقظت مفزوعة فى نهار حار جداً لتجد "بدرى" منتصباً بين فخذيها العاريين، ليس معهما فى العشة غير ڤيديو، تليفزيون، شريط سكس، قطعة حشيش بين فلقتيه تساعده على انتصابه المتشنج ..

.. افتضها ..

.. لم يكن سكراناً يا " فراولة " ..

تدفع " فراولة " له مقابل نومها فى عشته ، رغم أنها لا تـــدخلها إلا نادراً ..

مرمطها بامتياز ..

صار قواداً لها ..

* * *

"هلال" العظيم أنهى سياسة الدولاب ، يتاجر فى المخدرات ، لا يدفع "شهرية" للحكومة التى لم تستطع الإمساك به أو تلمسه مرة واحدة ..

لما يطاردونه يهرب بين العشش ، يحميه جيش المقهورين ، يلقون مياههم القذرة فى طريق الضابط الذى يلاحقه أو يرمون عيالهم عراة بخرائهم بين قدميه أو يمسك الرجل امرأته شبه عريانة يضربها معترضاً بها طريق الضابط حتى يهرب بطلهم.. يتفرجون على "الحكومة" تتقلب فى مائهم القذر وخراء عيالهم ..

ينهى "هلال" المطاردة لما يخرج من العشش يدخل "الخرشاوية" للعمارات السلالم ،وطرق للهرب تم ترتيبها بذكاء ، يقفز منها للمجهول .. يقف الضابط بالأسفل يائساً لتقهقه كل الرءوس المنسحقة حتى تجحظ عيونها ..

يقعد الضابط جانب عمارة يلملم رئتيه ، يقدم له أحد "الخرشاوية" سيجارة بالحشيش وكوب شاى .. يسحب الضابط الدخان على صدره، يتلفت حوله يشتم بعلو صوته

: يا ولاد الوسخة ..

يُسمع فاصل ضحك رجالى وحريمى محشو بالبانجو والحشيش ، ختامه ضحكة حريمى طويلة ترش حولها سكس ومرح ..

* * *

"نعيمة روبابيكيا" ..

تركت الشغل مع أبيها على عربة الروبابيكيا فور بلوغها ، اضطر أبوها بعد فترة قصيرة أن يركن عربته جانب العشة ويعيش على ما تعطيه له من شغلها فى القهاوى ..

منذ عدة سنوات و"نعيمة" تتنقل بين قهاوى الدرجة الثالثة بميدان "باب الحديد/ رمسيس" وما حوله ، لقب "روبابيكيا" يتنقل معها حتى يئست منه ..

هى منذ سنة فى قهوة " البورصة القديمة " بميدان

"باب الحديد / رمسيس" ..

بمواجهة الباب الخلفى للقهوة موقف ميكروباص وبيجو لكل محافظات "مصر" ..

" روبابيكيا" تقف خلف البوفيه تجهزّ المشروبات التى لا تزيد عن شاى، سحلب، حلبة، شاى بحليب – المشروب الرسمى الشعبى لسائقى الميكروباص والبيجو– .. يشتغل معها صبى شيشة يُشَمِّر بنطلونه لمنتصف ساقيه وفى قدميه شبشب بلاستيك ..

تلبس "روبابيكيا" عادة بنطلون چينز ضيق و" تى – شيرت" نصف كمّ، مبلول على بطنها ..

تملأ أنفك برائحتها وهى تنحنى تحطّ لك الشاى لما ينشـــغل صـــبى القهوة عن زبائنه أو يرسله المعلم لمشوار ، تشوف حمّالـــة ســـتيان أحمر معقودة على كتفها الشمال بعدما تزحلق عنه
طوق / "التى شيرت"..
(تعرف أن الكثيرين يطمعون فيها ، تفرح ، لكنها لن تعطى لأى أحد أية إشارة .. فقط تريد أن تحسّ بأنوثتها وتضرب بشبشبها ما يسمى بالفحولة إياها .. لكنها فى الحقيقة تتمنى لو .....)
لا تدفس "التى – شيرت" تحت البنطلون، كلما تنحنى ينكشف ظهرها وتحس بألسنة تلحسها..
(ساعات تتلذذ ، ساعات لا ، ساعات تقرف من كل شىء)

تشتغل وردية الليل لأنها تحب الليل ..
عن شمالها قرب البوفيه مبولة مثبتة بالحائط ، يأتى أحدهم لا يفعـــل غير أن يريها عضوه ، تعطيه ظهرها ، تنشغل بالبراد ..
(لا تنشغل فعلاً كل مرة ، ترقبهم بطرف عينها فيفهمونها ويمنحونها وقتها لتمارس شهوتها بعينيها .. مرّات تحسّ بألم فى معدتها ورغبة مجنونة أن تمارس العادة السرية أو تعمل " واحد " مع أى واحد)..

منتصف الليل يستعد المعلم صاحب القهوة للمغادرة ، حيث يأتى ابنه بعد قليل ليستلم مكانه .. لو تصادف خلوّ القهوة من الزبائن يرسل "المعلم" "صبى الشيشة " لمشوار يستغرق عشر دقائق لا يحتاج منهم "المعلم" غير عشر ثوان يقضيها مع مؤخرة "روبابيكيا" خلف البوفية، يقبض عليها بقوة يلتصق بها .. قبلما يتمتع بثقلها وتتسرب سخونتها لأعصابه يخرُّ لآخر قطرة، يُصفّىَ تماماً، يستغفر بعصبية ويغسل عضوه فى المبولة ..

ابن صاحب القهوة ينهى ورديته فى الخامسة صباحاً بنفس طريقة أبيه ،إلا أنه يرسل صبى الشيشة لمشوار يستغرق عشرين دقيقة ، يحتاج منها عشرين ثانية..

* * *

الليل ..

بعدما تخرج من الباب الرئيسى لقهوة "روبابيكيا" تمشى عدة أمتار تجاه ميدان "باب الحديد/ رمسيس" حتى يعترضك السور الحديدى اللعين، تعرف الوقت بالنظر للساعة المثبتة أعلى الجدار الجانبى لـ "محطة مصر"، تشم حولك الرائحة النفاذة الرخيصة للسجق والكبدة، بالجوار "تفرش" بائعات المش، الفطير، العيش "الطَّب" التخين..

تمشى مع السور متجهاً لشارع " الجلاء" ، يصادفك عن يمينك بعد أمتار قليلة مبنى رمادى قديم ضخم له نوافذ كبيرة بزجاج بنى قاتم، مكتوب فى قمته :

سكك حديد الحكومة المصرية 1910

EGYPTIAN STATE RAILWAY

.. المبنى له بوابة خشبية بضلفتين مكتوب أعلاها:

أقلام عموم هندسة السكة والأشغال

.. يتراص قريباً من جدار المبنى عدد من ماسحى الأحذية بصناديقهم، أكلهم، نومهم..

.. لو ترجع بعد الواحدة صباحا لنفس المكان تقدر أن تضيف له :

أ – فرش ملابس

ب – فرش أحذية

ج – فرش شرائط كاسيت مستعملة

د – فرش شنط سفر

و– عدد ٩ بنى آدم راقدين بمرض، جوع، برد، وموزعين كالتالى :

أربعة .. تحت جدار " سكك حديد الحكومة المصرية "..

واحد .. جانب كابينة تليفون " ميناتل" قرب الباب الرئيسى ل "محطة مصر"..

واحد.. بين أصاصى الزرع جانب كابينة تليفون"رينجو" قرب الباب الجانبى لـ "محطة مصر" القريب من مكتب حجز تـذاكر القطـار المكيف وجه بحرى درجة أولى وثانية ..

واحد .. خلف الكشك الزجاجى الذى يسرق دقائق المكالمات، فـى الجهة التى لا يأتى منها الزبائن ، تماماً تحت شكمان تاكس مغسول..

واحد "زبال" .. جانب صناديق الزبالة المركونة قرب رصيف مكتب البريد الملاصق للباب الرئيسى ل" محطة مصر"..

واحدة.. بالأسفل على باب محطة المترو المواجهة للبـاب الرئيسـى لـ"محطة مصر".. تضطر لنزول عدة درجات سلالم لتتفرج عليهـا ومعها طفل أو طفلين..

"حسين" ..

تشترى ملابسك من هنا ..

لما يكون معك فلوس تشترى طقم قميص وبنطلون بحوالى مائة جنيه كل ستة شهور ، لن تشترى ملابس ثقيلة تحميك البرد ورطوبة أقسام الشرطة ..

تدخل شارع "الجلاء".. بعد أمتار قليلة تشم رائحة الكبدة من مطعـم "على بركة الله" الذى يؤكد لك بلافتة بيضاء صغيرة ملصوقة بمدخل المحل :

نصف رغيف كبدة ٣٥ قرش ..

نصف رغيف سجق ٣٥ قرش ..

"على بركة الله " مزدحم دائماً بعشاق الكبدة من الطبقة المتوسطة وما تحتها ..

عدة أمتار تالية تجد عن يمينك "قسم الشرطة" و "السجل المدنى " فى مبنى واحد، يفصل بين بابيهما أمتار قليلة يقعد فيهم " عوض ورنيش" بصندوقه يمارس نفوذه .. نفوذه الغير عادى داخل قسم الشرطة والسجل المدنى ..

"عوض" ..

بعدما ترك "كورنيش النيل " قعد بصندوق الورنيش شهوراً فى ميدان "باب الحديد / رمسيس" يُلمِّع الأحذية ويلعب قمار بالكوتشينة ، ثم قعد أسابيعًا أمام "دار القضاء العالى"، " نقابة المحامين"، "شركة مياه الشرب للقاهرة الكبرى"، وفى ميدان "عبدالمنعم رياض" حتى سحقته حالة من القرف فانتقل لقهاوى وسط البلد يسرح بين زبائنها ..

بذلك سيصادف أبيه ..

ربما يقابله أكثر من مرة فى الليلة ..

كان يحرص على ألا يصادفه أبداً فى العشة ..

يحمل "فوزى" – والد "عوض" – كرتونة خردوات فيها مفك كهرباء.. فيشة .. مقص .. ساعات .. محفظة .... يدور فى قهاوى وسط البلد يحرك شفتيه بلا صوت واضح ، فيبدو كأن الكل يعرفون ما يقول .. يميل على أذن أحدهم يهمس بجملة قصيرة، يقهقه بعدها الزبون أو يبص له بغضب..

يتعمد "عوض" أن يصدم بكتفه كتف أبيه ولا يلتفت له ، أو يبص له من بعيد باحتقار يؤكد له أنه لا يحترمه ..

تجاهله "فوزى" كثيراً، تمادى "عوض" فى إهانته بكتفه وبَصَّاته، حتى ليلة ركن فيها "فوزى" كرتونته جانب بوفيه القهوة .. سحب "عوض" على الرصيف وأطاح بقدميه فارتطم بالأرض، ارتمى "فوزى" فوقه بجسده الضخم يضربه بغيظ شديد

:اسرح بعيد يا ابن القحبة .. م اشوفش وشَّك هنا..

سحب من جيبه مفك كهرباء غرز رأسه فى جنب "عوض"

: أخرَّمك يا ابن الوسخة .. أخرَّمك ؟

ضحك المتفرجون

: يا راجل يا خرَّامة .. أخرمه وانا أخيَّطه ..

سمح "فوزى" "لعوض" أن يسحب نفسه من تحته ويلملم صندوق الورنيش المبعثر، بينما خط دم رفيع يسيل من فمه..

قرر "عوض" أن يعيش فى عشة لوحده بعيداً عن أبيه

"الخول أبو رخصة"، ويعبد "الحكومة"...

* * *

فى المسافة التى تمشيها بشارع "رمسيس" بين مسرح "الفن" و"الجمعية الشرعية الرئيسية" متجهاً لميدان " عبدالمنعم رياض"..
بعد المسرح بأمتار قليلة يصادفك شارع فرعى قصير به محل جزارة يعلق فى مدخله اللحم عارياً للغبار والدخان .. بالمواجهة ترتاح الأحذية فى محلها معززة مكرمة خلف زجاج لامع، لديها موظف ينظفها بفرشاة من الريش ويعيدها لأماكنها بعناية ..
قبل "الجمعية الشرعية " بأمتار ، على جدار ورشة ميكانيكى سيارات تقرأ إعلاناً بالبويا الحمراء لحزب سياسى يعلن عن نفسه
: حزب السلام الديمقراطى .. أمل كل مصرى ..
مع تحيات رئيس الحزب أحمد ال ..... مشروع الأرنب ١٥ شارع بورسعيد (ملصق لإعلان يغطى بقية اسم رئيس الحزب) ..
عند محطة "الإسعاف" تدخل شمالك ، تمشى أمتار فى شارع "٢٦ يوليو" حتى تتقاطع مع شارع " رمسيس " ، تعبره لتكمل "٢٦ يوليو" فيبدأ هنا بمحل عصائر "البنهاوى" عن شمالك"، يمينك "دار القضاء العالى".. تلزم الشمال، يصادفك بعد أمتار قليلة محل "أورفانيدس _ Orphanides" لبيع الخمور ..
إضاءة كاملة من الفلورسنت على واجهة المحل تكشف نشاطه بوضوح، زجاجات الخمر، الويسكى، البيرة بأنواعها خلف الزجاج

الشفاف، كل زجاجة مربوط حول رقبتها برفق فيونكة أنيقة مكتوب فيها ببنط أسود عريض الصنف، السعر، اسم المحل :

Black label 32
Red label 29
Chefas rigal 60
Amprator brand 14
Samios brand 11
Vodka of cairo 22
ديبوى ١١جنيه ..
نيو چينى صغير ٨ جنيه
نيو چينى كبير ١٨ جنيه
عرقى بلح الأسد الفاخر ١٤ جنيه
.....

زبائن "أورفانيدس" الكثيرون يتفرجون على الزجاجات بتأن، يتشاورون حول السعر والأصناف الجديدة ، تماماً كما يحدث أمام محل الملابس المجاور.. الفرق أن معظم زبائن "أورفانيدس" يشترون، زبائن الملابس ينصرفون تائهين..

تتجاهل رجل خمسينى يقعد بكسل على كرسى قريباً من الباب لمراقبة الزبائن، تنزل درجتين لتدخل " أورفانيدس" ، تشم رائحة بين

العطر والكحول ، زجاجات تبرق فيها الخمرة مرصوصة بنصف عناية على الأرفف ، ثلاثة موظفين بينهم رجل أربعيني يعاملك بهدوء، شاب فى أول الثلاثين، شابة عادية على "الكاشير"، بالليل تتغير الشابة بشاب فى منتصف الثلاثين لا يبتسم ..

بعدما تخرج من المحل لو تبص على لافتته تقرأ فى أسفلها:

شركة ذات مسئولية محدودة ..

"حسين " ..

دخلت " أورفانيدس " مرة واحدة اشتريت فيها زجاجة "amprator brand" هدية بدون مناسبة " لهلال" .. عاملك الرجل الأربعينى بثقة فأحسست بالأمان ، خرجت من المحل بهدوء ، مشيت فى الشارع على مهلك ، لم تخبئ الـ" amprator brand " تحت ملابسك ، لم تهرول بخطوات واسعة تتلفت حولك مضطرباً..

بعد " أورفانيدس " بأمتار قليلة تصادف "الشرنوبى" واقفاً جانب سينما "ريڤولى".. زادت مساحة مستطيل الخشب، امتلأ بشرائط الڤيديو والاسطوانات ، الدهانات السرية فى علبة صفيح صغيرة بركن المستطيل ، الموبايل بيده ..

تكمل للأمام بأمتار، يصادفك محل "الى كاف دى كورينتوس" لبيع الخمور.. فاترينة صغيرة باهتة خلفها أصناف قليلة بأسعار غير

واضحة، يتميز المحل بوجود صنف "العسكرى اليونانى الأحمر" الذى قد لا تجده عند غيره .. بالداخل تتراص الزجاجات بلا نظام على مناضد خشبية قديمة ..

تكمل فى شارع " ٢٦ يوليو " حتى يتقاطع مع شارع " طلعت حرب"، يبدأ عن يمينك ب " كوفى شوب الآمريكيين " ، يقابله محل لبيع الخمور اسمه:

كروم چاناكليس

Vignobles Giancus

تلاحظ تجديد المحل .. اسمه أكثر وضوحا ، إضاءة مميزة تتقدم به خطوة للأمام تاركة محلات الملابس فى إضاءة باهتة ..

تجذبك إعلانات " كروم چاناكليس" فى القاترينة الخارجية، ربما عن أنواع "فودكا" بأسعار مريحة .. تدخل المحل ، تلاحظ أنه أكثر أناقة وتنظيماً رغم مساحته الأصغر كثيرًا من "أورفانيدس".. لكنه يعوض فارق المساحة ببار مريح تصعد إليه بسلم رخامى بارد ودرابزين نحاسى لامع ..

فى "كروم چاناكليس" تشم رائحة أكثر إقناعاً من تلك فى "أورفانيدس"، ترتاح أكثر للضوء الهادئ المموّه بالأصفر والوردى الفاتح، وطقم شباب يبيعون لك كلهم يرتدون يونيفورم أخضر مكتوب على قلبه : "Heineken"..

بعد "كروم چاناكليس" بخطوات تقف عمارة قصيرة بسبعة طوابق ، فى طابقها الرابع فندق زبائنه من الطبقة الفوق متوسطة مباشرة ، الطابق الأخير شركات أفلس أصحابها ، قفلوها لما لا نهاية..

يأتى "الشرنوبى" بواحدة من زبائن أفلامه ، يدخل بها العمارة كاثنين من نزلاء الفندق، يصعدان بالأسانسير للطابق المفلس ، يوارب باب الأسانسير حتى لا يسحبه أحد ، يفرغ غليان خصيتيه بسرعة على مؤخرة أو صدر زبونته، يسبقها بالأسانسير، يرجع لفرشه الذى تركه فى حراسة زميله ..

يمنح "عوض" زبونته شريطاً هابطاً مجاناً، تعيده له غداً فى نفس الميعاد وتأخذ غيره ..

تكمل فى شارع "طلعت حرب" حتى تمثال "محمد طلعت حرب" فتكون بين اختيارات أن تدخل يمينك لشارع "محمود بسيونى"، شمالك "صبرى أبوعلم"، أو " قصر النيل" الموازى "لطلعت حرب" الممتد أمامك.. تلاحظ بمواجهتك محل "جروبى" يفتح فى "محمود بسيونى" و"قصر النيل" معاً ..

" حسين " ...

تحب تلك الشوارع ..

بعدما تشرب "كوديفان / codiphan" مع شلّة الشرب ، يطلب معكم فسحة ، ضحك، نظافة ، معاكسة بنات .. تلبس معهم طقمك النظيف وتنزل وسط البلد، تدخل سينما، تعاكس بنات وتمشى متباهياً بنفسك.. تُفَضّل أفلام الخيال العلمى النادرة جداً ؟؟

تختار أن تكمل فى شارع " طلعت حرب " لأنه يصبُّك مباشرة فى ميدان "التحرير" ..

يصادفك فى "طلعت حرب" سينما "مترو" عن شمالك، بعدها بأمتار عن يمينك سينما "ميامى"، مركز "طلعت حرب" التجارى، محلات وجبات سريعة، خلال ذلك تشوف بنات صغيرات قاعدات بعلب مناديل يبعنها، تشك أن بينهما أختين لو لاحظت الشبه بينهما ..

البنت أمامها المناديل، فى حجرها كراسة ، كتاب مدرسى ، قلم رصاص.. جانبها شنطة مدرسية رخيصة ..

تتأكد من الأختين لما ترجع بعد ساعتين وتشوف أمهما الثلاثينية تُلَوِّح لهما من الرصيف المقابل، رضيعها على ذراعها وبيدها كيس مناديل..

لمّا يصبُّك "طلعت حرب" فى ميدان " التحرير" تجد نفسك أولاً

أمام مطعم " كنتاكى " ..
منطقة عمل " الخول أبو رخصة " ..

" فوزى " ..
أربعينى، ضخم نسبياً بملامح رجولية، لمّا يدخل القهوة حاملاً كرتونة الخردوات ويشير إليه أحد أصحابك يقول لك : الرجل ده خول .. لن تصدق، لكنك تعيد التفكير لما يقترب منك يمسِّي عليك بصوت رفيع طرىّ يشجعك أن تبصّ بقوة لعينيه، تشوف فى اتساعهما ذاك البنفسجى المائى الغامض وخط الكحل فى جفنه التحتانى، يبتسم لك يبصّ فيك ثوانى يعرف بها إذا كان لك فيه أم لا ..
ربما يفاجئك " فوزى " بسؤال مباشر .. بسرعة يبرهن لك بكلام منطقى أنه كان يقصد بسؤاله غير ما فهمته أنت وأغضبك ..

سألك مرة يا "حسين" ؟؟
طلبها منك صراحة كما فعل مع "هلال" ؟؟؟
مازلت تخاف من بنفسج عينيه الواسعتين وصوته الرفيع الطرى؟؟

يشعرك " فوزى " بالتوتر فى البداية لأن فكرتك عن الشواذ يمكن أن تتلخص كونهم أطيافاً شريرة أقرب لمصاصى الدماء أو المخبولين أو خليط منهما، لم يخطر ببالك أنهم يمكن أن يكونوا غيرمؤذين

ومسالمين بدرجة ما.. إلاّ لما تنشط جيوش النمل تحت جلد أحـدهم تقرص لحمه، وتتجمع فى نقطة واحدة تقرصها بإلحـاح ، فتتملكـه رغبة تحطيم نفسه والعالم..

يسحب " فوزى " كرسيًّا ليقعد جانبك وأنت الذى تشوفه لأول مرة – لا يهم فأصحابك يعرفونه – .. يبدأ بنكتة جنسية ذكية وحكاية طريفة عن مومس يحكيها بصوت منخفض.. تضحك لأنه بالفعل مضـحك سريع البديهة ، يضرب كفه بكفك التى لم تفتحها له، يحطّ السكر فى شايك، يقلبه بهدوء، يحكّ ركبتك بركبته، تبعدها عنه، يحكها ثانيـة، تبعدها، يحكها ثالثة ورابعة وخامسة فيعجبك إصـراره أو يقرفـك.. ربما تلعب معه لعبة "العشم "، تترك له ركبتك بخبـث ، تريـده أن يعتقد أنك تفكر فى الموضوع .. يبعد ركبته عنك، يقهقه لأنه تأكد من أول بصّة فيك أنك : ماليكش فيه..

.. يسألك فى أذنك سؤال أخير

: عايز لحمة ؟ بيضا ولاّ سمرا .. ؟

لما تسكت عشر ثوان يخرج لك رخصته من قعر الكرتونة ، يقـول لك

: أنا بائع متجول قديم .. بائع متجول برخصة ..

.. لذا يسمونه " الخول أبو رخصة " ...

* * *

بالإضافة للأماكن الكلاسيكية كالبارات ،صالات الديسكو ، الشوارع الخلفية مشوهة الإضاءة ، ابتكر الشواذ أماكن للتعارف أكثر بساطة ، ربما تكون رصيف واسع فى شارع معروف أو ميدان صغير أو أمام مطعم مشهور للوجبات السريعة ..

أمام مطعم "كنتاكى" التحرير ، على الرصيف المواجه له الذى يرسم مثلثاً كبيراً أحد أضلاعه فى شارع " طلعت حرب " ، ضلعه الثانى فى شارع " رمسيس" ، رأسه باتجاه "مجمع التحرير" ، قاعدته "كنتاكى" وصفّ قهاوى ومحلات ..

فى هذا الرصيف المثلث تصادف أشخاصاً تحسّ فوراً أنهم جميعا أصدقاء بينهم تفاهم وألفة شديدين ، ربما تسمع منهم ضحكة أو تشوف مزاحاً مثل أى مزاح عادى بين أصدقاء عاديين..

يتمّ الأمر ببساطة بلا أى تعقيد ، الكل يتجاذب أطراف الكلام مع الكل، كل واحد يمنح رفيقه الفرصة كاملة ليُعبِّر عن نفسه، لا يهم لو استغرق الأمر بعض الوقت فلا داعى للقلق والتسرع..

يعاملون بعضهم البعض بكثير من اللطف يجعلك تحس بالغربة بينهم، لو لم تكن منهم تحسّ فوراً أنك غريب، كأنما يحتفظون حولهم بمجال حيوى يلفظك..

لن يلتفت إليك أحد أو يرغمك على أى فعل أو كلام ، تقف ساعة أو أكثر لا تشك أن شيئاً غير عادى يحدث حولك ، ثمة أشخاص غير عاديين أنت بينهم ..

ليس إلا إحساسك الغريب بالغربة ..

المكان مثالى جداً.. آمن، هادئ، مكشوف، غير مكلف بالمرة، ليس أكثر من نصف جنيه تشترى به علبة مناديل من بنت تلحّ عليك، تشدك من بنطلونك، تقول لك

: أنا مش شَحَّاتة ..

هنا .. "الكنتاكى" .. كبائن "ميناتل".. كبائن "رينجو".. محطة مترو.. بوكس "الحكومة" الواقف جانب السور الحديدى الفاصل بين الرصيف والشارع ..

أحيانا يختفى "البوكس" ، لكنك دائماً تجد عسكرى مرور أو اثنين واقفين فى "المثلث" بعد منتصف الليل، لا يفعلان غير إثبات حالة تواجد حكومى، الفرجة على مؤخرات البنات المزنوقة تحت الچينز، تأمل الكائنات الداخلة/ الخارجة/ القاعدة فى "الكنتاكى" الساحق.. أخيراً التكتكة من البرد بين الرابعة والسادسة صباحاً ..

أصدقاء "المثلث" يمارسون أمرهم بينهم بطريقة يتمتعون فيها بالتعارف كأنه متعة فى حد ذاته ..

يتمتعون بالحالة منذ اللحظة الأولى فى التقرُّب للرفيق..

.. أحياناً يظهر "فوزى"، يدور بينهم بكرتونته، يخرج مـــن قعرهـــا رخصته وحافظة جلدية يعرضها للبيع

: أنا الأصلى .. أبو رخصة ..

معايا محفظة.. مفك .. فيشة..

يبص فيهم بقوة ،لا يهتَمون، كأنه غير موجود ، يقول لهم مؤكداً أنه الخبير الأصلى وهم مجرد هواة

: معايا محفظة جلد .. جلد طبيعى ..

أصلى .. متين .. جلد متين ..

أنا الأصلى .. التقليد لا .. أنا الأصلى ....

(٥)

"لو ربنا حرّك علبة الكبريت من هنا لهنا، أعرف إنه موجود وأؤمن به"

.. رمى علبة الكبريت أمامها على الأسفلت ..

تحدّق فى العلبة، تنتظر، يقول لها

: مجرد طلب بسيط .. يحرك علبة الكبريت ..

يضحك ..

تنتظر الرب ..

لم يفعلها الرب ..

ببساطة .. هكذا يربك عقلها الحائر بأسئلته المتعبة ؟!

: حركها له يا رب .. لو حركتها أصرخ بعلو صوتى أقول له ربنا أهه.. أهه .. ربنا أهه ..

لم يفعلها الرب..

: طلب بسيط .. لن تخسر شيئاً ..

يلتقط علبة الكبريت يشعل منها سيجارته ، ينفخ دخانها بثقة فى فم الليل المفتوح لآخره ..

: تروحوا هناك تاخدوا مقلب ..

لا جنة ولا نار ولا أى شئ ..

تبص للسماء تتوقع من الرب الذى لا يبتسم الآن بالتأكيد أن يمد يـــده يأخذه لحيث لن تشوفه ثانية أبداً أبداً ..

لكنها تحبه جداً جداً ..

لم يفعلها الرب ..

لماذا لم يحرك الرب علبة الكبريت ؟!

الرب الذى لا يبتسم الآن لماذا لم يأخذ أخيها حيث لن يعيده أبداً ؟!

" فؤاد " ..

أخوها الكبير ، بينهما عشرين سنة ملأهـــا لهـــا بـــالحيرة ، الشـــك، الغضب، وتركها وحدها بلا إجابة ..

كانت تتمنى لو يرجع ساعة واحدة لتسأله عما هناك ؟

أكان هناك من يقدر أن يحرك علبة الكبريت ولم يفعل؟

لم يفعلها الأخ ..

ظل يسألها ، يشخبط لها على كل شئ ، يحطّ علامة (x) أمام كل إجاباتها ..

رحل ..

تحتفظ فى درج مكتبها بأجندة تكلمه فيها كلما توصـــلت لإجابـــة .. تكتبها له ..

تكتبها بسرعة شديدة ..

"فؤاد".. الفنان النحات .. يسكن "الوايلى" فى بيت مـــن ثلاثـــة أدوار ورثه مع أمه وأخته بعد موت الأب الشيخ " يوســـف " إمـــام جـــامع "الرحمة" .. تعيش الأم والأخت فى شقة بالـــدور الأول ، يـــؤجرون ثمانى شقق صغيرة متبقية بأجور رخيصة ..

يعيش " فؤاد " معظم حياته فى حجرته الخاصة على السطح ، يشكل مخلوقاته بحنو وحزن وألم يظهر فى وجـــوههم المعذبـــة بأســـئلتها وحيرتها ، فتكاد تتفتت لولا يده التى تمسح رءوسهم تسرب روحـــه إليهم ..

يقول لأخته "سماح" أنه لو يقدر أن يطلـــق مخلوقاتـــه فـــى الأرض سيمنحها السعادة .. السعادة المطلقة ..

يرمى لها أسئلته بهدوء وهى تمارس يومها العادى .. أثناء تناولهـــا الطعام ، وهى تغسل وجهها ، أمام التليفزيون وهى تراقـــب القتـــل اليومى وشريط الأخبار الأحمر

:لماذا لا يمنحهم السعادة ؟! لماذا يجعل السعادة

عارضاً فى حياتهم ؟! كل هذا القتل ؟!

ما حكمته فى هذا ؟!

لماذا لا يضع ربهم سلامه بينهم وينتهى الأمر ؟!؟!

تحبه جداً جداً ..

أمه تقول له : أنا راضية عنك .. لو تصلى ربنا يرضى عنك ..

لم يفهم أبداً كيف تربى أمه الكتاكيت ثم تذبحها !!!

" سماح يوسف " ..

٢٥ سنة ، صحفية بصحيفة معارضة ، تشتغل حوالى ١٦ ساعة فى اليوم، لها عمود صغير تسميه "قشطات" باسم "لازمة" تقولها لما يعجبها رأى، أو تقرأ خبراً يهمها أو تحصل على تحقيق مميز فتقول بمرح : "قشطات" .. وتضرب بكفها كف زميلها "چورچ" .. الذى تناديه أحيانًا "چو" ..

عمودها الصغير منحه لها أستاذها فى صفحته " مراسيل " بالثلث الأخير من الصحيفة ..

"سماح" تحب "فيروز" و "أحمد منيب" و"محمد منير"، تقول "لچورچ " إن سر روعة أصواتهم أنها لا تفرض عليك حالة ما ،لا ترغمك أن تعيش حزنهم أو فرحهم أو تحب حبيبهم .. فقط يفتحون لك بوابة الحزن لتعيش حزنك الخاص ، تعيش فرحك الخاص ..

تفرح ، تتألم ، تحزن ، تثور ، تموت وتعيش براحتك ..

.. يمنحونك كامل شخصيتك ، خصوصيتك ، حريتك ..

"فيروز" و"أحمد منيب" و"محمد منير" يخلصونك تمامًا من جسدك، يفتحون لك السماء ويطلقونك ..

روعتهم أنهم يحققون حلمك المستحيل فى الطيران ..

.. "سماح " تحب البطيخ ، تفطر فى الشارع على عربة فول، لا تحفظ الحروف الأبجدية بالترتيب، لا تستطيع إكمالها لما تسمّعها "لچورچ"، فتكرر نصف الحروف عدة مرات ، تعشق قطع الشيكولاتة، الآيس كريم ، حبات المانجو الخضراء الصغيرة المزززة، الرسم لكنها لا ترسم، الأسماء البادئة بحرفى الميم والنون، أفلام السكس الناعمة، فى حافظة نقودها صورة قديمة لأخيها " يوسف " الشهيد فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، على صدرها سلسلة بشكل قلب بنفسجى، حول معصمها ساعة بعقارب متعرجة ، تحشر فى الجيب الصغير لبنطلونها الچينز زجاجة عطر بحجم عقلتى إصبع ورائحة أنثوية هادئة لا يشمها إلا القاعد / الماشى / الواقف جانبها ..

لا تحب طلاء الأظافر ..

لا تحب الأشياء المكتملة ..

لا تحب الأشخاص الذين يبدون مثاليين أو يحاولون الظهور كمثاليين..

فى قدميها حذاء أسود قوى..

تحب الأطفال ..

لا تهتم بسخافات تحديد النسل ،اليأس بعد سن الأربعين ، ممارسة السكس فى أوقات محددة بأوضاع مكررة، تدخن "الكليوباترا" ، تفضل مشط الكبريت عن الولاعة ..

تقول إن العقل الفارغ شارع ملئ بالقاذورات ..

تحب جداً الكشرى أبو دقة وشطة زيادة ..

تحب جداً لوحات " جوجان " العريانة ..

تحب أن تتعرف على أشخاص جدد ، تفعل أشياءاً جديدة لأن اعتياد الأشياء يميتها، اعتياد الأشخاص يحنطهم ..

تعشق السفر ..

تكتب كلاماً وترسم أشكالاً صغيرة فى وسادتها ،ملاءة سريرها، سطح مكتبها الخشب ، المساحة الجربانة فى ركبة بنطلونها الجينز..

"سماح" لم تكتب رسالة عاطفية واحدة فى حياتها ، تعرف أن حبيبها من يقدر أن يجعلها تقعد معه ثلاث ساعات متصلة فى مكان عام دون أن تزهق أو تمل أو تقرف منه ، تشرب قهوة وشاياً ، تحرق سجائر وشيشة ، تلاعبه شطرنج ، دومينو ، كوتشينة ، تكلمه فى كل شئ .. ولما يشوفهما من لا يعرفهما لا يعرف إن كانا صديقين أم حبيبين أم عشيقين أم زوجة وزوجها أم أخت وأخوها أم خليطاً من كل هذا ..

لديها مخزون كبير من الحزن ..

لها وحمة حمراء لذيذة على شكل عنقود عنب بناتى صغير أو فحل توت كبير عند بداية الخط الفاصل بين فلقتيها.. تظهر أحياناً لما تنحنى لتدخل الميكروباص مثلاً، تحت الوحمة مؤخرة بحجم وجبتين مشبعتين من الچيلى القوى ..

على صدر " سماح " بزين بحجم قنبلتين تملآن قبضة اليد .. يتوقع انفجارهما فى أية لحظة ..

خاص للرواية من " أم سماح " :

" فى طفولتها كانت "سماح " لما تسمع صوت الآذان أو غناء أم كلثوم تتوقف فوراً فى مكانها تبص للسماء بفرحة ، وتسيل دموعها من عينيها ببراءة.. احترنا فيها .. ستكون فنانة أم فيها شئ لله ؟؟" ..

تعليق " سماح " :

"أنا طول عمرى محتارة .. رأيى إن الدين والفن يحيِّران الإنسان جداً جداً ، يبدو كأن أحدهما لا يقبل الآخر ، لكن الأمر غير ذلك .. ما هنالك فى رأيى أن الدين والفن يؤثران معاً فى أهم منطقة داخل الإنسان .. يشتغلان على الإنسان فى مكان واحد .. هو وجدانه .. يتماسان ويتحاوران .. يتبادلان الأفكار والكلام فى عقل الإنسان ، اللعب فى مفاتيحه ، الجلوس على كراسى قلبه ،تلوينها ، تكسيرها ، أحياناً إحراقها ، يغزلان روحه بإبرهما المحمَّاة .. هذا يقشر له

برتقالة، الآخر يرمى فى يده قنبلة .. يهديه وردة ، يغرس فيه شوكة.. والإنسان المسكين يصالح هذا مرة ، يخاصم الآخر مرة ، يعكس موقفه .. يرفضهما معاً أو يصالحهما معا .. المسكين يبكى .. يصرخ.. يفرح.. يضحك.. لكنه دائمًا يلازمه ألم وشجن ما .. ربما كلامى غلط .. لكن أنا مرتاحة له .. قشطات"

"سماح".. لو سألتها عما تتمناه لو لم تكن صحفية ستقول لك : راقصة غجرية متجولة ..

بحجرة الضيوف صورة " لسماح" فى عمر ثلاث سنوات .."فؤاد" يحملها على ذراعه، تلف ذراعها حول رقبته ، تبصّ للكاميرا بغضب.. على الحائط المواجه صورة بالأبيض والأسود للشهيد "يوسف" فى بدلته العسكرية المموَّهة، بالأعلى برواز كبير للأب يُطلُّ منه على الجميع بابتسامة طيبة ..

قبل التحاقه بالجيش تطوع " فؤاد " فدائياً " بمنظمة التحرير الفلسطينية " ، لم يعرف أهله بذلك إلا بعدما وصله خطاب الموافقة والاستدعاء للتدريب ..

بعدما وقَّعَ على أوراق تفيد عدم حصوله على أى راتب أو حصـــول أهله على أى تعويض فى حال موته ، راح مـــع زملائـــه الفـــدائيين للتدريب فى "أنشاص" ،"دهشور" ، صحراء " حلوان " لمدة عام .. بدلاً من ترحيلهم لإحدى الجبهات فـــى "ســـوريا " أو "فلســـطين" أو "الأردن" كانت الأوامر أن تكون بعض الجماعات الفدائية فى خدمـــة زعيم عربى أنفق على تدريبهم وإطعامهم ليكونوا تحت أمره فى تنفيذ عمليات لصالح بلده ، ويكون منهم حراساً شخصيين له .. انســـحب كثير من الفدائيين بينهم " فؤاد " ..

" حسين " ..

هربت من تأدية الخدمة العسكرية ..

لم يسأل عنك أحد ..

..ألأنك أقل من أن يهتم أحد بك ؟؟

تتوقع إهانتك فى أى مكان بالدنيا ؟

كنت تقدر أن تدخل الجيش ،ترحم روحك من بـــوكس "الحكومـــة"، المخبر الدهنى، وضابط الشرطة الذى يؤكد لك كلما يشوفك أن أمـــك "قحبة زانية فيك"، وبدلاً من أن يرسلك لأية وحـــدة عســـكرية كـــان يستعملك أسبوعين أو شهراً لغسيل وتنظيف قسم الشـــرطة ، حتـــى يتدخل " عوض " بنفوذه فيتركك الضابط بعدما تكون روحك انسحقت للمرة ال ... لا تذكر يا " حسين " .. ؟ لا تذكر ..

هل كنت تتمنى أن تكون أى واحد آخر فى أى مكان بالدنيا لا يؤكد لك فيه أحد أن أمك "قحبة زانية فيك"، لا يعلقك فى السقف، لا يشلّ أعصابك بالكهرباء ..؟؟

لو دخلت الجيش كنت على الأقل ستأكل كل يوم وتتغطى كل ليلة، لما يدوس أحد على روحك تقول لنفسك : جيش وحكم القوى ..

تعد الأيام لميعاد إنهاء خدمتك ، تكتب تاريخه فى الجدار جانب سريرك ، وصفيح عربات قطار الترسو ..

كان يمكن أن تخدم فى سلاح " حرس الحدود " ، تفعل مثلما فعل " صبرى أبو دم" .. تدخل " إسرائيل " ، تشتغل عدة أيام وتقبض ، تتبادل مع حرس الحدود الإسرائيلى البضاعة الخفيفة كزجاجات الشامبو الكبيرة ، قطع الصابون بحجم كف اليد ورائحة منعشة ، كريم الحلاقة ، مجلات السكس، صفائح زيت الزيتون ، الصندل الجلدى بنى اللون ..

* * *

يقعد "عوض" بصندوق الورنيش آخر الليل بين قدمى الضابط فى مكتبه ، ينكفئ على حذائه المدبب يلمّعه ، يحكى له ما يفعله مع بنات العشش ثلاث مرات أسبوعيًا

: عاش اللى اخترع الكيلوت الصغير يا باشا ..

"الكيلوت" الحريمى الصغير / stringe بأى لون هو أكثر ما يثير "عوض" فى الدنيا .. قطعة شفافة مهيِّجة بمقاس الفرج ، يتفرع منها خيط رفيع يحيط بالخصر وآخر محشور بين الفلقتين ..

يحتفظ "عوض" فى الصندوق "بكيلوت " أحمر وآخر وأسود ، يعطى أحدهما للواحدة تلبسه قبلما يضاجعها ،لا يخلعه لها ، فقط يزيحه جانباً بما يكفى ليلقم عضوه لفم فرجها ، ويتابع باقتحام عنيف

: عاش الكيلوت الصغير يا باشا

ربما يحكى "عوض" للضابط بعض القصص القديمة بعدما يضيف لها بعض الشروحات المفيدة ومقاطع جديدة من ابتكاره ، فى كل مرة يتباهى

: أنا ابن حلال يا باشا .. أنا الملايكة طاهرتنى ..

الملايكة بذات نفسها طاهرتنى يا باشا ..

يريد " عوض" أن ينسب لنفسه شرفاً أو طهارة ما ، والأمر ليس أكثر من عيب خلقى ..

ما يسميه "عوض" "طهارة الملائكة" ليس إلا عدم اكتمال نمو قناة مجرى البول الخارجية ، فتكون قناة مجرى البول فى غير موضعها الأصلى مصحوبة بتقوس نتيجة لوجود أنسجة ليفيَّة ..

كما أن الملائكة لا تشارك الرب تشكيل مخلوقاته..

.. يمارس " عوض " نفوذه داخل قسم الشرطة ومكتب السجل المدنى لأبعد حد ، طالما يملك " الذَّكَر " .. هكذا يسمى الجنيه ..

يأتيه أصحاب البطاقات، التسجيلات ، القضايا، التوقيعات، الأختام، الدمغات السخيفة، كل ما هو تائه أو محبوس بين الملفات ويستغرق أسابيع وشهوراً ، فينهيه "عوض" فى دقائق ..

الشكر.. كل الشكر " للدَّكَر" ..

يحتفظ فى صندوق الورنيش بالدمغات، طوابع الشرطة، صورة من كل الأوراق المطبوعة المطلوبة فى السجل المدنى وقسم الشرطة ، يبيعها للزبائن بعدما "يدكِّروه".. ينهيها من المسئولين بعدما "يدكِّرهم"..

يقدر "عوض" أن يفسد أية قضية فى قسم الشرطة بأن يخفى أحرازها أو يبدلها، يتوسط فى الإفراج عن المقبوض عليهم للتحرى، والمطلوبين فى قضايا صغيرة ، يقدر أن يحبس أحدهم شهراً أو أكثر بوشاية صغيرة لأنه "مرشد" مخلص للحكومة ..

يمتد نشاطه لتزوير أختام، إمضاءات، عقود، شهادات رسمية يقدر بنفوذه وجبروت "الدَّكر" أن يسلِّك طريقها فى قسم الشرطة والسجل المدنى ..

" حسين " .. .

تعرف نفوذ "عوض" جيداً ..

لما يقبض عليك البوكس للتحرى لابد أن تدفع خمسين جنيهاً "للبلوكامين" حتى يدخل لمعاون المباحث يقول له "كلمتين حلوين" عنك ليتركك بعد ليلة من العبث فيك..

يمكن أن تستلف مائة وخمسين جنيهاً تدفعهم لواحد اسمه "سعد"، وواحد اسمه "ملوخية " يخرجانك من القسم دون أن يحس بك أحد .. أبوك يرفض أن يدفع عنك .. تسدد دينك بنفسك..

"عوض" يأخذ منك عشرين " دكَر" فقط ويخرجك من القسم بعد ساعتين ..

"عوض" يشكو بنات ونسوان العشش للضابط ، الواحدة تقبض منه عشرين جنيهاً كل مرة.. كثير جداً.. أية واحدة لن تكون ربع لذة "فراولة" التى تدوِّخه وتغيبه عن الدنيا كلها

: ضحكة واحدة من "فراولة" يا باشا تفصّل خمس نسوان ..

البوسة منها زى الإبرة.. توجع صحيح.. إنما لذيذة ومغذية

يشكو "فراولة" لأنها لم تسمح له أن يضاجعها بعدما أحضرها للضابط..

: دلع قحايب يا باشا ..اتكبرت عليّا بعد نومك معاها..

انت السبب يا باشا ..

"عوض" لا يرضيه بديلاً عن "فراولة" غير "نرجس الحلوة " أخت "هلال" العظيم

:أنا هاتجوز يا باشا .. هاتجوز " نرجس الحلوة " ...

(٦)

"عم سيد "..

" خليل" سائق الميكروباص ..

صوت " محمد قنديل "..

" الإسكندرية "..

أربعة لا تحب " نعيمة روبابيكيا" أكثر منهم فى الدنيا ..

"عم سيد".. لما يكون كل الناس ضدك ، ليس لك مكان فى العـــالم ، وقبلما تتأكد بلحظة أنه الألم قادم إليك لا محالة ، تتذكر واحـــداً فـــى حياتك سيكون لك مكان لديه ، يظل معك ويعيدك فوراً للحياة ..

"خليل السائق" .. لما تحب.. تحب.. تحـــب حتـــى تتعلـــق روحـــك بأطراف أصابع حبيبك ..

"صوت محمد قنديل".. لما تعاشر صوتاً ويعاشرك حتى ينجب منـــك كل هذا الحب..

" الإسكندرية " .. لما ربك يُنزل لك جنتك على الأرض ويقول لك : تعال ادخل ، ولا تستطيع ..

.. هل ضاجع "خليل" "نعيمة" و" فتحها" كما تقول البنات زميلاتها في العشش.."ناهد مصاصة" و"صباح تفريش"
و"منى آخر الليل" ؟؟

.. "خليل" طول عمره يحلم أن يقود مواصلة يركب فيها الناس .. قطاراً أو سيارة أو غيرهما .. يريد أن يركب شيئاً ينطلق به حتى تنتهى الأرض ..
هكذا يتصور ..
للأرض حافة بعدها فراغ هائل، يظل الواحد معلقًا فيه لمالا نهاية فلا يقع ولا يموت .. فقط يظل طائراً بين النجوم خارج تلك الأرض " الظالمة بنت الوسخة " ..
ربما لهذا أحبته "نعيمة"، فحلمها قريب من حلمه .. فكرتها عن الأرض قريبة من فكرته .. إلا أنها عندها تنتهى بالماء .. بالبحر تحديداً.. بتحديد أكثر.. " بحر اسكندرية المالح "..
الماء يا "نعيمة" ؟!!
ربما أكثر شاعرية أو رغبة في موت ما ..؟؟؟؟

"خليل" يريد كل هذا الفراغ ليعبث فيه وحده.. يُعلّق فى الهواء بما يسمح له أن يبصق على الأرض "الوسخة" كلما يعوز ..
ستكون الأرض صغيرة بما يكفى ليغرقها ببصقة واحدة ..
"نعيمة " تريد أن يشربها البحر .. يؤنسها بصوته وهيجانه ..
البحر سيكلمها كثيراً .. ينصت لها كثيراً .. لن يسألها إن كان "خليل" أو غيره " فتحها " أم لا .. لن يتوقف عند هذا ..
البحر لا يتوقف أبداً ..

بدأ "خليل" بالقطار الذى تصوره أسرع طريقة للوصول لآخر الأرض..
يستبعد تماماً احتمال وجوده فى طائرة ، يفضل تخيل الطائرات أشياء لا تلمس الأرض أبداً ..
يحمل أعداداً قديمة من "أخبار الحوادث" يسرح بها بين ركاب الدرجة الثانية والثالثة العادية

: اقرا .. اقرا النسوان وفضايح النسوان ..
النسوان وبلاوى النسوان .. بربع جنيه..
اقرا وشوف النسوان ..

يفتح " الحوادث" بوجه الطالبات ،الشباب ، بائعات الجبن والبيض.. تشتمه بائعة

: اشمعنى النسوان يا خول ؟ مالهم النسوان؟؟ ..

روح شوف أمك يا خول اجرى ..

أمه التى لا يذكرها إلا فى موقفين .. أولهما:

واقفة أمام العشة تحشر فى فمه رغيف عيش ناشف وتمسح أنفه بطرف جلبابه بعدما سألها

: أبويا رايح فين ؟

المخبر الدهنى يدفع أبيه فى كتفه يشتمه ..

جرحت فتافيت الرغيف زور " خليل" ..

لما كان متشعبط مع زملائه فى سيارة أجرة ليشتغلوا فى ورشة على الأسفلت ، أشار إليه المخبر بإصبع ضخم وقال للركاب

: الواد ده أبوه مسجون ..

من يومها صار المخبر أول وأكبر كره فى حياة " خليل " ..

أيضاً هو أول من يبصق على وجهه بعدما يصل لنهاية الأرض "الظالمة" ويعلق نفسه فى الفراغ ..

من عرقها المبلول بالشاى ،الحلبة ،السحلب كانت " نعيمة " تنفق على " خليل " ، بعدما هرَّبته من " الحكومة " منذ ثلاث سنوات تحت بوفيه قهوة كانت تشتغل فيها خلف ميدان "باب الحديد / رمسيس"..

اشترت له "جردل" الحاجة الساقعة ، جهزّت له مخدّة صغيرة عبأتها بقماش قديم يحطّها على كتفه تحت الجردل ..

يسرح " خليل " فى القطار يغرى عطش زبائنه

: ساقعة رصاص ..

يفتح واحدة للكمسارى : اتفضل يا ريس .. يلعن ميتينه فى سره ، يدعى : "ميّة نار يا رب" .. يبيع بذمتين : واحدة بخمسين قرش ، الثانية بخمس وسبعين.. لو يتعارك، بسرعة يكسر رقبة زجاجة فارغة يطوح بها فى الهواء ، لما يعوز يشوف دم يجرح ذراعه يهتف : أنا "خليل" السنسة .. ملك السبنسة ..

منحته " نعيمة " من عرقها ليؤجر " كانتين " الدرجة الثالثة ، ليحتفظ بكل البضاعة التى يسرح بها الباعة فى القطار ويشتغلون لحسابه تحت يده ..

بعدما دفع عرق " نعيمة " ورسى عليه مزاد " الكانتين " تعارك مع زميل ، فوقع منه تحت القطار وقطعت ساقه ..

اضطر " خليل" أن يتنازل عن الكانتين لزميله كتعويض .. غادر القطار كله ..

اشتغل تبّاعاً على ميكروباص خط رمسيس – عبود ، كلما يعرف صاحب السيارة أنه من العشش يطرده ..

توسطت "نعيمة" "لخليل" عند معلم القهوة ، فتوسط عند أحد السائقين ليتوسط أخيراً لسائق خط رمسيس – عبُّود ، بين الوساطات دفعت من جيبها مائة جنيهاً ، من صدرها عشر عضَّات لبزِّينها، من مؤخرتها خمسة أحضان عنيفة ..

بعد شهرين أعادت نفس الوساطات بعدد أكثر من العضات والأحضان ليشتغل "خليل" سائقاً على السيارة باليومية ...

* * *

ما علاقة "عم سيد" بصوت "محمد قنديل" "بالإسكندرية" ؟

ماذا يفعل الثلاثة "بنعيمة" ؟؟

لماذا تحس "نعيمة" أن "عم سيد" يحتفظ لها بشئ سيمنحه لها فى الوقت المناسب ؟!

شئ فى وجهه الأسمر أو صوته المبحوح ، تحت جلده ، أو مكان آخر ..

هناك شئ سيسعدها به يوماً ما ؟.. هذا ما تحسه " نعيمة " ..

جميل أن يكون فى الحياة مخابئ لسعادة غير متوقعة ، حتى لو كانت جيباً صغيراً فى بنطلونك يحتفظ لك بجنيه قديم ..

غصباً عنه فرَّغ "عم سيد" عربته اليد من كل ما تحبـــه "نعيمـــة" .. البالونات، الشربات، ألعاب الأطفال، المزمار.. لم يحتفظ إلا بصوته المبحوح..

: الطماطم يا بِت ..

ينادى " عم سيد " على بضاعته .. كل النساء بنات .. كل الرجـــال عيال

: عم سيد .. كنت فين ؟!

: على الله ..

يغيب أياماً ، فجأة يظهر، يركن العربة لجـــدار القهـــوة ، يـــدخل ، تحضنه " نعيمة "

: على الله ...

متى يمنحها سره ؟؟؟

* * *

" يا حلو صبَّح .. يا حلو طُـــل "..

" يا حلو صبَّح .. نهارنا فُـــل "..

أغنية " محمد قنديل " ..

منذ صادفتها " نعيمة " ذات صباح أبيض فى الراديو كاســـيت الـــذى تتنقل به فى كل القهاوى وهى تتمنى لو يرسلها الرب بدلاً من الشمس ليوقظ بها الناس ..أو على الأقل يكون هذا الأمر خاصاً بها ..

تحطّ "نعيمة" الراديو كاسيت الخاص بها على رف قريب من يدها وأذنها ووشيش وابور الجاز، حتى صار الوشيش خلفية لكل الأغنيات..

تُثَبِّت المؤشر على محطة "الأغانى" ، تستعد بشريط فارغ لتسجل أية أغنية "لمحمد قنديل"، تضغط زر pause مع زر التسجيل، لما ينوِّه المذيع أو المذيعة أن الأغنية التالية " لقنديل" ترفع زر pause بسرعة حتى لا يسجل الشريط صوت " تكة " قبل صوت " قنديل " ..

"نعيمة" لا تتصور أن يغنى "محمد قنديل" هذا الكلام إلا لبنت اسكندرانية، لا يكون نهاره فل إلا باصطباحة اسكندرانية يقول لها :

من قد إيه وانا باستناك.. وعينى ع الباب والشباك ..

عشان أقول لك واترجّاك.. يا حلو يا .. يا حلو صبَّح..

لن يُتعب الرجل نفسه بين الباب والشباك إلا لو كان الحلو بنتاً اسكندرانية ..

تتصور "قنديل" فى كل أغنيه يغنى لبنت اسكندرانية .. ليس فقط فى "يا حلو صبَّح" و" بين شطّين ومَيَّة " ، أيضاً لما يغنى

: يا رايحين الغورية .. هاتوا لحبيبى هدية ..

تعرف أن "الغورية" حى قديم من أحياء "القاهرة" لكنه انتقل بقدرة صوت "قنديل" "للإسكندرية"، ولما يطلب لحبيبته ممن يروحون "الغورية" :

هاتوا له توب القصب يليق على رسمه
منقوش عليه العجب واكتب عليه اسمه
والطرحة ويًا الشال .. وإسورة وخلخال

يطلبهم من "غورية" الإسكندرانية ، ليهديهم لحبيبته الإسكندرانية ...

"نعيمة" تعشق الرجولة الحنون التى يصبُّها صوت "قنديل" فى صدرها يملؤها دفئاً وطمأنينة ..
لا يخلو الأمر من مداعبة ذكية لأنوثتها ، كأنما لصوته حضناً وأصابعاً ونفساً دافئاً ..

" حسين" ..
ماذا فعلت بعدما تزوجت أختك الصغرى " نورا" ورحلت بقميص نومها؟؟ كنت تركِّز مع ممثلتك أو مطربتك المثيرة، تمارس عادتك السرية على صوت إحداهما؟؟..
كنت تحتاج للتركيز فعلاً أم كانتا تسهلان الأمر جداً عليك..؟؟
اكتشفت فيما بعد أن لكل واحد من الشلة صوتاً يضاجعه ..

صوت "محمد قنديل" لم يطلب من "نعيمة" أن ترتعش تحته من هـول اللذة، لم تطلب ذلك ..

فقط يمنحها الدفء الكامل ، يربت ظهرها وصدرها ، يبعـد عنهـا الحزن والقلق..

ما تحسه "نعيمة" تقريباً كأن صوت "محمد قنديل" أب تمشى معه فـى الشوارع طفلة تلعب على راحتها، تتقافز حوله مطمئنة فـى مجالـه الأثيرى الدافئ، تمارس كل الحب والفرحة الممكنين من هذه اللحظة تحت حمايته وفى سلامه..

لما شافته "نعيمة" فى فيلم أبيض واسود، بزىّ الصـياد واقفـاً علـى مقدمة القارب ممسكًا بحبل الشراع يغنى: يا حلو صبَّح .. يا حلـو طُلّ .. أدركت أنه وعد خاص بها من الرب ، سجلت الأغنيـة مـع وشيش فى خلفيتها ..

" نعيمة " أحبت " محمد قنديل " فى زىّ الصياد ؟؟

لماذا كل الأشياء التى تحبها " نعيمة " تحولها لرجل طيب دافئ .. كل رجل طيب دافئ تحوله لبحر أو قارب كبير ؟؟؟

* * *

لو أراد الرب أن يُدخل "نعيمة" الجنة فرجاءً ليفعل ذلك الآن ويرمى بها فى "الإسكندرية" .. تحديداً فى حى " بحرى" لتتحول بنتاً محشـيَّة بالزبدة والقشطة والشقاوة ، ملفوفة فى ملاية لف تحتها بنطلون چينز و" تى – شيرت"..

لكن "نعيمة" ستلفُّ نعومة الملاية على لحمها تزغزغه بـدفئها فـى الشمس وبرودتها المدغدغة فى الليل ..

تخرج كل ليلة للبحر تحضن هواءه الساقع ، تتركه يدخلها من كـل ناحية حتى ينفخها شراعاً وتسافر ..

تسافر حتى تبتعد عن الأرض تماماً..

حيث لن يكون ثمة أرض أبداً أبداً..

تستقبل البحر فى حضنها ، أو ترمى نفسها فى حضنه .. لا يهم ..

تطعم النوارس من فاكهة تنبت فجأة على صدرها..

تقف على الشاطئ تبص بعيداً تتخيل على الشـاطئ الآخـر بنـات مرحات يضحكن بعلو الصوت، يعرفن السباحة ، كل واحدة منهن – يا بختها – يضاجعها البحر مرة فى الأسبوع على الأقل ..

تتأمل النقط المضيئة علـى سـطح البحـر ، تتمنـى لـو كانـت هناااااااااااك ..

تبتسم "نعيمة " لكل من يعاكسها على كورنيش البحر ، تشرب أكبر كمية ممكنة من الخروب الساقع ، تأكل حمص الشام والذرة المشوى..

تنام للبحر ، تفتح ملاءتها ليَبرك عليها يحتويها كلها كلها كلها ..

" نعيمة " ..

تحب أغنيات المطربين والمطربات السود فى المحطات الفضائية المخصصة للأغانى ، يستفزها الرقص المخلص للبنات السمراوات بأجسادهن اللامعة ، صدورهن الصحية ، سيقانهن المصبوبة بفن .. تعجبها حركات مؤخراتهن القوية..

أحيانًا لو القهوة خالية تأخذها النشوة وترقص بنصفها التحتانى بتلك الجدية والهيجان المرح ..

* * *

الموقف الثانى الذى لا ينساه " خليل " لأمه :

.. لما قالت له

: الحب مش للّى زيّنا يا أهبل .. روح الحق لك

دور فى طابور العيش

يقف فى آخر طابور الرجال، لا يصل أبداً، لما يختلط الرجال بالنسوان بسرعة تضيع فلوسه وهم يقفزون على رأسه يدهسون كتفيه وأصابعه، يزحف على بطنه يشمشم بيديه الكفيفتين عن نصف جنيه

ملصوق بلصق أبيض عريض، لما يمسكه يكون العيش انتهى ، ينام من غير عشاء وغطاء إلا من بصقة كبيرة على وجهه ..

موقف ثالث "لخليل" مع أمه لن ينساه ؟؟
لما شافها عريانة تحت المخبر الدهنى .. ؟؟
أفزعه منظرها ، أرعبه عرى أمه ، تسمَّرت عيناه عليهـا لحظـات حتى أصاب الشلل شيئاً ما داخله لم يتحرك ثانية ..

بكت "نعيمة" على صدر "عم سيد" لما شافت " محمد قنديل " فى قنـاة "دريم" يكلم المذيع من سريره بالمستشفى ، والموت واضح جداً على وجهه ..؟؟
اندلق براد الماء المغلى على يدها ..؟؟
.. تملصَّت بقرف من يدى المعلم القابضتين على مؤخرتها ..؟؟
رفضت أن يبوسها " خليل " تلك الليلة ؟؟.....

(٧)

الوقت : بعد منتصف الليل

المكان : فاصل الدهشة

"بدرى" يبص مرة أخيرة خلفه للعمارات العالية البعيدة ، يدخل العشش بعد بيعه تذكرتين بودرة ..

يبدأ دورة الصباح بشكل عكسى ..

يروح " لعفاشة الكبداوى" يدفع له ثمن سندويتشين الفطور ، يطلب رغيف "سمين" ورغيف "كبدة"، يدفع ثمنهما بعدما يطمئن عليهما كاملين فى معدته..

لن يضرب بكفه على بطنه برضا لأنه بلا كرش .. لم يشبع أبداً فى حياته ..

لن يتكلم مع "عفاشة" الذى لن يبص له ..

بعدما يتمخط "بدرى" كعادته، يرمى له "عفاشة" السندويتشين على حافة الألمونيوم، معهما قرن شطة أخضر وقليل من الطرشى برائحة خراء قديم ..

يتذكر " بدرى " أنه لم يمر على صيدلية الدكتور " عصام " ، يخرج من العشش "لعزبة الورد" بالجوار، يدخل الصيدلية حيث يشتغل فيها طالب طب ريفى..

صيدلية الدكتور "عصام" مفتوحة أربع وعشرين ساعة ، يتناوب الشغل فيها مع طالب طب ريفى يتغيَّر كل سنة ..
يكون الطالب فى سنة الامتياز التى يقضيها بالمستشفى التعليمى، تسمح له ظروف الدراسة بوقت يشتغل فيه ..
فى الصيدلية يكتسب الطالب خبرة مباشرة بالأدوية ، فيسمى "صابع صيدلية"..
يشتغل سنة الامتياز اثنا عشر شهراً ، ثم يسلم الصيدلية لواحد بلدياته لزوم الجدعنة ،مواجهة الفقر ،ممارسة العظمة ..

الدكتور "مجدى" .. الطالب الموجود طول هذه السنة قام بتحسين مجموعه فى الثانوية العامة مرتين قبل إلغاء نظام التحسين ليلتحق بكلية "الطب"، ويعوض بعض الفارق الاجتماعى بينه وبين أبناء جيله، ومعظمهم لسوء حظه أبناء لأغنياء استطاعوا القفز خارج مستنقع الفقر بطرق قذرة أجريت لها عمليات غسيل بالحصول على لقب "الحاج" ..
قفز "مجدى" بمفرده تاركاً عائلته فى بؤسها ، لم يفعل فى المستشفى التعليمى غير اصطياد المريضات الفقيرات وقريباتهن، يظهر اهتماماً مميزاً بالفقيرة، يتحرك بها فى المستشفى، يعطيها رقم موبايله ويلح عليها أن تتصل به لأى خدمة فى أى وقت.. لن يهتم بأى ذكر..

فقط الأنثى.. خاصة لو شابة متزوجة أو مطلقة ، أو لها قريبة فـــى هذه الظروف.. يرضى بغير المتزوجات والبنات المقفولات ..

يؤجر الدكتور "مجـــدى" حجـــرة وصـــالة بمحطـــة "المثلـــث" فـــى "مدينة نصر"، يأتى بأم المريضة، أختها، ابنتها، قريبتها، يضـــاجعها بقدر ما تسمح حالتها..

يضاجعها بقوة ليعوِّض نقص تقنى فى جهازه الذكورى .. ؟؟

يطلب منها أن تتألم وتتأوه باسمه ؟؟.....

الصيدلية مكان مثالى ليمارس "مجدى" عظمته على "عزبـــة الـــورد" وساكنى العشش ، يعوض قليلاً من فوارق يعانى منها مع أشـــخاص رغم بعدهم يعبثون فى عقله ..

يشترى "بدرى" من الدكتور "مجدى" حبتين "عين كتكـــوت" يبلعهمـــا ويرجع للعشش، يدخل الحمام، يقعد على القالبين المكسورين ليتـــدلى شرجه منقبضًا كحفنة دود تتقيأ مفروم كلاب مع قطط ، يتفرَّج علـــى البزاز والأفخاذ الحريمى المرسومة فـــى الصـــفيح، يشـــحذ نفســـه لانتصاب لم يقتنع أبداً بكفاءته بسبب ذلك الاعوجـــاج البســـيط فـــى عضوه لناحية الشمال..

كثيرًا ما ينشغل "بدرى" باعوجاج عضوه ويعتبره إعاقة لذكورته، رغم أن هذا الاعوجاج البسيط لا يسبب أية إعاقة أو ضعف فى اللقاء الجنسى ..

"بدرى" هو السبب فى اعوجاج عضوه..

ما فعله "بدرى" بنفسه يسمى طبيًّا "كسر العضو الذكرى" وهى تسمية مجازية لأن العضو الذكرى لا يحتوى على عظم يتكسر أو غضاريف تتمزق :

يتكون العضو الذكرى من ثلاث أنابيب طولية، اثنتان على كل جانب، تحتوى التى فى المنتصف على قناة مجرى البول، يحدث الانتصاب نتيجة اندفاع الدم الشريانى فى الأنابيب الثلاث حتى الإمتلاء، مع انقباض مؤقت فى الأوردة العائدة بالدم من العضو الذكرى إلى الدورة الدموية الوريدية، الأنابيب الدموية الثلاث تحتوى داخلها على نسيج ليفى كالشبكة يساعد الدم على البقاء طول مدة الانتصاب.. وقد يحدث التواء مفاجئ لأحد الأنابيب يسبب تهتكا فى أنسجته، وهو ما يسمى "كسر العضو الذكرى" ..

قد يحدث الالتواء المفاجئ نتيجة العنف أثناء اللقاء الجنسى أو أثناء ممارسة العادة السرية بجهل وشراهة، نتيجة هذا التهتك يحدث نزيف دموى شديد بين الأنسجة المحيطة بالأنبوبة مسببًا ألمًا مبرحًا يستمر

عدة أيام، ثم يبدأ الجسم فى امتصاص الكدمة أو التجمع الدموى ويتكون مكانه أحياناً نسيج ليفى جديد يسبب ضيقاً فى المنطقة المصابة، مع حدوث انتصاب بعد ذلك يحدث انحناء متفاوت فى الناحية المصابة وهو ما يسمى " اعوجاج العضو الذكرى الجانبى "

..العنف الجنسى الذى يمارسه " بدرى " مع امرأته هو السبب فى اعوجاجه ..

فى طريقه لعشته يمشى "بدرى" بين أكوام الزبالة المحروقة.. يسمع صوت التليفزيون يخرج عالياً من عشة "كرم الحلوف"، يفهم أنه يكلم امرأته كلامًا سرًا ويريد أن يغطى صوتهما بصوت التليفزيون، يقترب من العشة، يلمحهما من شروخ الصفيح و"الحلوف" يضرب امرأته فى وجهها، بطنها، ظهرها، وهى تصرخ فيه بجرأة

: انت اللى دَخَّلته العشة وعارف ان أنجس منه مفيش ..

دخل عليّا عز النهار وخد مزاجه منى .. تقدر تبص له ..؟

ولاّ راجل عليّا بس؟؟!

"الحلوف" يصرخ بغيظ ، يضرب الصفيح والتليفزيون بقدميه ..

يبتعد عنهما ، يسمع المرأة تصرخ

: سيب التليفزيون .. هوه ماله ؟!

"حسين" ..

تعرف أن من الممكن لامرأة أن تستقبل الرجال فى عشتها بعد خروج زوجها للشغل ، لو أخبره أحد بذلك ربما يقول له إن أحدهم لن يأخذ منها " حتَّة " وسيرجع آخر الليل يجدها فى انتظاره "حتَّة واحدة"، فى أحسن الأحوال يفتعل معها عراكاً تافهاً ليس إلا وقوداً لمعركة السرير..

كل واحدة تعرف عشيق الأخرى ، لما تعايرها تقول لها: يا بتاعة فلان، ترد عليها : وايه يعنى .. انتى كمان بتاعة فلان ..

لن تفعل شيئاً يا " حسين ".. لأنك لما شُفت بنتاً من العشش تمشى فى "العتبة " مع شاب ضربتها وأخذتها لأمها ، صرخت فيك الأم

: انت مالك يا خول .. أنا اللى مسرَّحاها ..

يدفع " بدرى " بقدمه باب عشته فينتبه اثنان من عياله يتفرجان على أمهما المستلقية بظهرها على السرير فاتحة فخذيها لامراة سمراء قاعدة بينهما بقطع قماش ، وزجاجات فيها سائل أحمر وأصفر ..

يهتف " بدرى " فى السمراء

: فى إيه يا مَرَة ؟

: انت بهيمة يا راجل انت !!

تذكره بابنه المشوه الملقى بركن العشة ، وامرأته فى دورتها الشهرية، لو أنجبت ربما يكون مشوَّهاً أيضا .. يضربها فى بطنها ، يشدها من شعرها يرميها خارج العشة ، يكسر زجاجات الدواء ، يدفس نفسه بين فخذى امرأته ..

: أنا بلعت حبتين عين كتكوت يا لبوة ..

تصرخ ..

تدخل السمراء بقالب طوب تكسره فى دماغه، فينقلب على ظهره...

* * *

: خدى الفلوس م تبقيش فقرية زى أمى ...

يقولها "هلال" للبنت "وجنات" حبيبته فى عشة بعيدة تبص على المقابر، تضربه فى قلبه بقبضتها

: فُوقْ يا "هلال" .. احنا نلِم روحنا فى عشة أحسن لنا ..

يحبها ولا يعرف كيف يفعل ذلك.. تقرصه بقوة فى بطن فخذه

: أنا عايزاك يا " هلال " .. عاشقاك ..

أروح فين لو رحت منى ..؟؟

يتأكد أنها تحبه ، بينهما شيئاً حلواً لا يفهمه ..

" وجنات " ..

سمراء بشفتين محقونتين شهوة ..

لم تكن بجمال " نرجس" ، ولا فيلم سكس يمشى على الأرض "كفراولة"، لكنها تملك سر الأنثى .. السر الغامض .. الرائحة .. رائحة الأنثى ..

أول مرة شافها " هلال " كانت تجرى خارجة من العشش لتلحق شغلها ، راقب ارتجاج بزِّينها وهى تحاول تثبيتهما بيديها فقال لها

: ثبتيهم بمسامير ..

توقفت وفاجأته

: زىّ مسامير أمك ؟

لكمها "هلال" بوجهها، انفتحت شفتها التحتانية، قبضت حفنة تراب رمتها فى عينيه وعضته من صدغه بقوة، سحب حزامه الجلدى أبو توكة رأس ثور يضربها على كتفيها وظهرها .. لم يتدخل أحد المتفرجين ..

آذاها ومسح بها أرض العشش، لم تقو على الذهاب لشغلها ..

لأنه "هلال" العظيم البطل الشعبى، راح لها بالليل يصالحها .. لم يرد لما شتمته بعلو صوتها

: اطلع برّة العشة يا ابن المرة يا خول

رائحة ؟!

رائحة الأنثى ..

الرائحة الطبيعية للأنثى التى تنثرها حولها دون قصد من جلدها، فمها، ضحكتها، ابتسامتها ،شعرها ،كلامها ، أنفاسها، مشيتها، يديها، ملابسها، أشيائها ..

رائحة يقرؤها عقل الرجل بهدوء أو عنف ،المهم لا يخطئها أو تخطئه ..

رائحة الأنثى التى تُثبّت الذكر فى مداره حولها بثقة وسطوة كما تفعل الشمس بالكواكب المسكينة ..

ليس أروع من أن تغمض عينيك تتنفس امرأة ..

ليس عطر امرأة .. بل رائحة امرأة ..

جلدها الخالص المغسول بالماء فقط .. رائحة مقطرة نقية من كل الشوائب والعوالق ..

رائحة ؟!

.. يمكن تخيل العالم بلا رائحة ؟؟!

أقوى من الموت إلا الرائحة ؟؟!

هناك شئ لا يخسره الإنسان إلا رائحته .. ؟؟!

الإنسان ..المخلوق القابل للخسارة كل ثانية.. يخسر عمـــره، عقلـــه، كرامته ،قلبه ،أهله ،أحبائه ، روحه.. يخسر حياته كلها.. لا يخســـر رائحته أبدًا ..

حتى بعد موته فإنه لا يعدم .. العفونة ..

"وجنات" ..

تشتغل خادمة فى بيوت بعيدة، تمارس فيها سرقات صغيرة لا تتعدى خمسة أو عشرة جنيهات كل مـــرة، تتـــرك نفســـها دقـــائق لأزواج يفضلونها "خادمة"، ومراهقين يفضلونها "من فوق الهـــدوم".. ترمـــى روحها لعضات لن تؤذيها بشكل حقيقى، وتُؤَمِّن لها بعض الجنيهات الزيادة التى يغتصب أبوها نصفها وأكثر، لما ترفض، يرميها علـــى بطنها، يقعد على ظهرها يحك وجهها بالأرض حتى يدميه ..

لما جاء واحد لأبيها وطلب أن يُزوِّجه أختها الكبيرة ، سأله أبوها :

معاك فلوس ؟

رمى له الرجل فلوسه فى حجره ، زَوَّجها له فى الحال وقال له :

أدخل خدها

"وجنات" ..

لا تريد غير بيتاً حقيقياً بعيداً عن العشش يجمعها "بهلال" ، يحتميان فيه ببعضهما، وأطفالاً يروحون مدارسهم الصبح ويرجعون لحضنها بعد الظهر ..

مشغولة دائمًا بحلم الأمومة، تمارس حلمها دون قصد مع كل الأشياء..

تتسكع آخر الليل قبل رجوعها للعشش فى شوارع "العتبة" ووسط البلد تتفرج على ملابس الأطفال وألعابهم ، تتمشى وحيدة ليلاً تتأمل البيوت القديمة الواقفة فى شارع "عماد الدين" .. بيوت تعرف "وجنات" أن لا أحد يسكنها، وإلا ما كانت بهذا التجهم والسواد يلون جدرانها وشبابيكها الكبيرة المقفولة ..

بيوت مهمتها فى الحياة أن تسحق "وجنات" ..

"هلال" لا يريد الخروج من العشش أبداً

: أنا هنا ملك ..

يكره ما هناك فى البعيد .. كل ما هناك يكرهه ويطارده..

" حسين "..

تحب جداً ما بين "هلال" و" وجنات " :

تقتحم " وجنات " عشة الشرب، تشتم "هلال"، يشتمها .. يتعاركان .. يتقاتلان ..

يشرب "هلال" بنصف مكسبه من المخدرات، النصف الآخر يرميه فى حجر أمه ، فترميه للأرض، تقول له المخدرات حرام ، أو السرقة حرام ،أو أى كلام ترفض به فلوسه .. لما يجرح ذراعه بالخنصر تعطى الفلوس "لوجنات" ..

"وجنات" تقتحم العشة عليكم ، ترمى الفلوس بوجه "هلال" ، تشتمه ، يسحب حزامه، يضربها بتوكة رأس الثور ..

: يا كلب يا ابن الكلب ..

يجرها من قدميها يمسح بها وساخة العشش، لا يتدخل أحد ..

لا أحد ..

كل هذا ينتهى بعدما تتعرى مساحات كبيرة من جسم "وجنات"، تقطع له قميصه، تخربشه فى صدره، تلكمه فى قلبه وترمى على وجهه بصقة كبيرة مختلطة بالدم والتراب، يتوقف "هلال" لاهثاً، حزام رأس الثور بيده، "وجنات" بين ساقيه تبص فى عينيه بقوة

: خلاص يا " هلال " .. ارتحت ؟؟

يأخذها من يدها لعشتهما التى تبص على المقابر، ينفث كلاً منهما غضبه فى جسم الآخر معتذراً له عن كل الألم ، يهرب فيه من كل القرف ..

لا تسمح له أن يفتضها أبداً

: خدنى حلالك يا "هلال" ...

.. يرش منيَّه على ظهرها أو بطنها، يبوس فى جسمها بقـــع الأزرق الناتجة عن رأس الثور الغبى، يترك لها قدميه تفركهما من التـــراب كما كان يفعل أبيه ..

تفرك قدميه حتى يَحمرّا ..

ينام على ركبتها وحشاً مسكيناً ..

"حسين "..

تحب هذا ..

تتمنى واحدة مثل "وجنات"، تشتمك وتشتمها .. تضربها وتضـــربك، لكنها لا تحب فى الدنيا أى شئ أو أى أحد أكثر منك..

مهما حدث بينكما تكون متأكدة أنك تحبها ..

أنت رجلها الوحيد ..

هى امرأتك الوحيدة ..

أنت تعشق هذا الجنون ....

* * *

فى دماغ " فراولة " فكرة عن الدنيا يمكن تلخيصها :

الدنيا شئ حقير عفن .. يجب عليها أن تفعل أى وكل شئ حتى لا تكون هى أحقر ما فى هذا الشئ العفن ، تأخذ كل شئ من الدنيا ، ليس لأنها حلوة – الدنيا- لكن لأنها حقيرة لدرجة ألا تترك منها شيئاً، كأنك تهرس صرصاراً بحذائك لتقتله ..

تصرُّ على قتله ..

.. قبلما تصل لقارب "العملاق" الذى ترقص فيه " فراولة " يصادفك على الكورنيش عدة مشاهد .. واحد منها يلخص البقية :

شابة تصرخ

: أنا تعبت .. قرفت .. مفيش واحدة تتحمل كده ..

أنا صغيرة ع الهم ده كله ..

يلكمها زوجها فى وجهها

: طلقنى .. طلقنى يا ابن الوسخة ..

يركل صينية الترمس يبعثرها تحت أحذية الأحبة الفقراء وحوافر أحصنة تجرُّ "حناطير" مسكونة بسائحات خليجيات فى عباءات حرير سوداء وعيون مكحولة ، يفرقعن البمب والصواريخ فى الأسفلت ويصرخن ضاحكات ..

ترمى إليه أصغر بناتها

: خد عيالك وإلا أقتلهم لك يا ابن الكلب..

يبصق على البنت ويمشى

: رايح فين يا عِرّة الرجالة؟ أنا اللـــى بـــادفع الشـــقة والتأمين وأكلك وشربك انت وعيالك وانام تحتك طـــول الليل .. أبو ميتين أهلك ..

اثنان من أمناء الشرطة يأخذانها تحت أسد كوبرى " قصر النيـــل" ، يربتان ظهرها وصدرها

: ابعد ايدك منك له .. مالكومش دعوة ..

.. لما ترجع من نفس المكان بعد ساعتين تشوف الشابة قاعدة تحت فم الأسد، ابنتها فى حجرها تحت دفء بزِّينها تهزها برفق ، تمســـح بيديها على ساقيها العاريتين تدفئهما ، بينما الزوج واقف فى الجهـــة المقابلة من الرصيف ينفخ دخان سيجارته ويبص لها من تحت لتحت حتى تقول له

: تعالى وطِّى على نعمة ربنا المبعترة ولِمِّها ..

"فراولة" ترقص فى قارب "العملاق" الذى يمر سريعاً قـــرب بـــاخرة "الباشا" الواقفة بعناد على الشاطئ، بينما رقصت "لولا" أو "تانـــا" أو أى واحدة بدلاً من "أحلام" ..

لم تدخل "فراولة" أبداً "للباشا" .. مازالت ترقص للفقراء بعشرة جنيهات فى الليلة، تنام مومساً تحت الطلبة وغيرهم من مستخدميها.. أحياناً .. خاصة فى ليالى الشتاء التى يَشحُّ فيها الشغل على القارب تتنقل "فراولة" بين شقق الطلبة، تعيش فى كل شقة مع مجموعة الطلبة أسبوعاً أو أسبوعين، تطبخ، تكنس ، تغسل ، تمارس تحتهم الانسحاق المتكرر..

يأخذ قوادها "بدرى" ثلث أجرها ..

"موبايل".. هو أعلى أجر حصلت عليه "فراولة" فى هذه المرحلة .. كان المخبر الدهنى يستعملها لآلهته الميرى ..

لواء شرطة .. بذلت معه مجهوداً مضاعفاً، أمتعته بعبقرية ..

فى هذه الليلة أكلت "فراولة" لأول مرة شيكولاتة بالويسكى، شافت الواقى الذكرى وأسمته "الكبُّوت".. حرصت فيما بعد على أن يستعمله كل زبائنها ..

أعطاها الرجل الموبايل راضياً سعيداً ..

.. " نوكيا ٦٦٠٠ " بكاميرا، الشهير ب "دمعة" بداية مرحلة أكثر تطوراً " لفراولة " كمومس ..... ؟؟

(٨)

قشطات

"المهمشين المنسحقين هم باطن
الأرض المنصهر ، كائنات تُطبَخ
مع بعضها ، تغلى وتفور للسطح
معادن وجبالاً وحجارة لتشكّل
الوجه الغاضب للأرض ..
هم الطينة الأصلية للإنسان ..
كيف نشعر بالأمان إلا اذا رأينا
منتهكين فى الشوارع ، كيف نتعملق
ونرضى غرورنا إن لم ينحن أحدهم
ليمسح لنا الحذاء ، كيف نشعر أننا
المصطفون عند الرب إن لم نقتع أنفسنا
بأن ثمة آخرين يغضبونه ..
نطمئن لأن الجحيم لهم ، فليذهبوا
إذن للجحيم ..
المهمشين هم من يتعمد هذا العالم
البغيض أن يسقطهم من جيبه المهترئ

ليدوسهم الفيل الأسود الكبير ..
هم من يقطعون خرطوم الفيل الأسود
الكبير ، ويرشون به بعضهم البعض
فى فوضى الحياة .. "

سماح يوسف

" سماح " لم تؤمن فى حياتها أكثر من إيمانها بالإنسان ..
أبطالها هم المهمشين الذين تبحث عنهم ، تفتش فى حياتهم ، تنحاز إليهم وتكتب عنهم فى عمودها الصغير ..
"سماح".. المليئة بالأسئلة تجد إجاباتها الكبيرة بين الناس ، فى الشوارع، وهى تشترى علبة "الكيلوباترا" من عجوز فى كشك جانبى، أو علبة مناديل من امرأة قاعدة على الرصيف، وهى تجرى آخر الليل لتلحق بائع الصحف المتجول تعطيه عدة صحف قرأتها مبكراً ليبيعها ويحطّ ثمنها كاملاً فى جيبه ..
يمكن أن تجد اجابة وهى تتصفح أوراق " عم كمال اسماعيل" الذى كان يلف المحافظات وبكتفه كيسين بلاستيك فيهما كتبًا يوزعها مجاناً على كل مهتم بالكتابة والقراءة ..

أعطاها "عم كمال إسماعيل" أوراقه كاملة لتكتب عنه قصة وهـــى لا تعرف كتابة القصص، لكنه أصر أن يعطيها أوراقه ويدفع ثمن الشاى لما قعدت معه على القهوة يحكى لها حياته..

مات "عم كمال اسماعيل" قبلما تكتب عنه كلمة ، تأكدت أنها ســتظل مديونة له طول عمرها حتى تكتب له ..

يمكن أن تجد إجابة لما تفوت جانب رجل المرور الواقــف وحيــداً وسط الشبورة فى ميدان "طلعت حرب" تقول له

: مساء الخير يا عم " صبحى " ..

يُصَحِّح لها

: صباح الخير يا أستاذة ..

أحياناً تحطّ فى يده كوب شاى بلاستيك دافئ لحد ما..

"سماح" تعرف أنها ستجد إجاباتها كلها فى الشارع .. بين الناس ..

* * *

هناك ناس ربما لم يجربوا فى حياتهم من مشاعر البشر إلا شعورين فقط ..

النجاح والحب مثلاً ..

هؤلاء فى رأى "سماح" يستحقون الشفقة لأنهم لم يتورطوا فى المشاعر الإنسانية بما يكفى ليكونوا بشرا، لم يتورط أحدهم فى الكره، الفشل، الحقد، الرغبة فى قتل الآخرين، حتى فى ممارساتهم الجنسية يفعلون هذا بلا كلمة "قبيحة" أو جنون خاص.. يفعلونه بكبت وأدب جم.. بالإيتيكيت ، بالشوكة والسكين ..

يمشون على رصيف الحياة فى ملابس نظيفة وأحذية طويلة ، لم ينعجنوا بدنس الحياة وقذارتها ..

هادئون، راكدون، مرتاحو البال، واثقون على طول وعرض الخط..

عاقلون جدًا، ناجحين، محبوبين، محترمين، قادرون على حب الجميع دون استثناء، يتمنون لهم السعادة، الخير، دوام الصحة..

لم يحس أحدهم أبداً بالكره نحو أمه، لم يركل أخته فى بطنها، لم يسب أبيه ..

لم يجربوا الغضب أبدًا ..

هؤلاء فى رأى "سماح" لم يتورطوا بإنسانيتهم بما يكفى ..

ناصعو البياض، ليس بينهم وبين الرب أسراراً يخجلون منها..

لم يمنح أحدهم نفسه الفرصة ليربت الرب قلبه ويقول له : سامحتك..

تحب "سماح" الصوفى القديم الذى يقول إن طاعة الرب أحياناً تكون سبباً فى غضبه لما يجترئ ناصعو البياض بهذه الطاعة على الرب،

يتبجحون، يملؤهم الزهو والغرور ويفتحون أعينهم فى عين الرب بجسارة.. بينما قد يكون لك سر صغير مع الرب يجعلك تنظر له بأدب معتذراً طول حياتك وتنتظر – هذا الانتظار الذى يحبه الرب – أن يمد يده فى أية لحظة يربت قلبك ويهمس

فى أذنك : سامحتك ..

الإثم هو أول تأريخ للبشر .. أيكون الغفران هو التأريخ الأخير ؟؟؟

* * *

: "عبود" .. "مؤسسة" .. "عبود" .. "مؤسسة" ..

تنادى "نعيمة" ورأسها خارج شباك الميكروباص، قاعدة جانب "خليل" فى الكرسى الأمامى تاركة ركبتها ليده تخربشها، ترص له الركاب وتلم الأجرة ..

علّقت له "خمسة وخميسة" زرقاء فى المرآة الأمامية، تلصق بصفيح الميكروباص ستيكرز على شكل قلوب، بوسترات صغيرة "لنانسى عجرم" و"إليسا" مكتوب فيها أغانى حب ، تشترى له شرائط الحب الاستريو، تطبخ له عمود الأكل ولا يهمها كلام "صباح تفريش"، "ناهد مصاصة"، "منى آخر الليل".. تقول لهن

: " خليل " بيحبنى وهيتجوزنى .. هوه انا زيُكم ..؟!

(تعرفين ماذا يحدث لك عندما تعشقين رجلاً وتريدينه أن يهتم بأنوثتك .. يحررها فيه .. يكون عبقرياً فى حبك؟.. تعرف طعم امرأة تريد أن تمنحك روحها وجسمها بإخلاص، مفتونة بك .. مسحورة لك ؟)

" نعيمة" .. تقريباً علَّقت روحها فى سلسلة مفاتيح " خليل " ..
.. لو تسأل " خليل " عما يريده من الدنيا يقول لك : لقمة حلوة وهدمة نضيفة و قرش فى جيبى و" مَرَة " .. لن يقول " نعيمة " أو واحدة تحبنى وأحبها .. لا يهمه غير جسد يفجر فيه أعصابه ..
بسرعة يسحب شريط " محمد قنديل" من كاسيت الميكروباص ، لن يتحمل أن يقول له " تلات سلامات" ويشرحهم له ، يختصر بواحدة تقول له مثلاً
: " حُط النقط على الحروف .. قبل م نطلع سوا ع الروف " ..

هل تعرفت "سماح" على "نعيمة" لما وقع منها الموبايل فى الميكروباص، وطلبت رقمه فردت عليها "نعيمة" تطمئنها أن الموبايل بأمان، وتطلب منها أن تقابلها فى القهوة بين السادسة مساءًا والسابعة صباحًا ....؟؟

تعرفت عليها لما تعبت من التسكع فى ميدان "باب الحديد / رمسيس" وما حوله لتجمع مادتها للتحقيق الصحفى الذى تعده عن المهمشين، فدخلت قهوة "روبابيكيا" وشافتها خلف البوفية تؤدى حركة راقصة تلقائية مع شابات سمراوات مثيرات ، يرقصن بمؤخرات نشطة حول مطرب أسمر فى أغنية بموسيقى قوية تبثها قناة فضائية ....؟؟
ابتسمتا لبعضيهما وأصبحتا صديقتين ؟؟

تأتى "سماح" "لنعيمة" مرتين أسبوعياً فى الواحدة صباحاً تقريباً ، تقعد على كرسى يكشف لها الشارع لتراقب كائناتها الليلية ، والرجل الذى يأتى بعد ربع أو نصف ساعة فى كرسيه المتحرك واضعاً فى حجره كاسيت متوسط الحجم ، يتوقف بمواجهة القهوة يطلب من "نعيمة" أن تغلق صوت التليفزيون، تفعل دون استئذان ابن صاحب القهوة، يُشغِّل الرجل الكاسيت، يرفع الصوت لمداه، فيلعلع صوت نقىّ لأحد المداحين، يبدأ الرجل يتمايل بجسمه يميناً وشمالاً ويبص للسماء مستعداً للطيران، يتوه مع صوت المداح والموسيقى الشجية حتى تدمع عيناه فيمضى بهدوء مبتعداً ..
تتكلم "سماح" مع "نعيمة" عن لقمة العيش، الدنيا المقرفة، الحب، السكس، المزيكا.. تسمع "نعيمة" لأول مرة أسماء مثل "أحمد منيب"، "بحر أبوجريشة"..

لما تُخرج لها "سماح" من الجيب الخلفى لبنطلونها الچينز شريط ستريو أصلى مغلف بسوليفان شفاف وزقزاق أحمر ، وتقول لها إنه "محمد قنديل" يغنى "تلات سلامات" و "يا حلو صبَّح" و"بين شطّين وميَّة" و"الغورية"، تحضنها "نعيمة" تقول لها "ان شا الله ما أعدمك"..

تعرفت " سماح " على " فراولة " التى تمر على " نعيمة " لما تكون خالية من الانسحاق تحت زبائن الشقق ..
اعتادت "سماح" أن تأكل مع "فراولة" على القهوة سندويتشات الكبدة والسجق مع "طُرشى" تحرصان فيه على قرون الشطة والبصل الصغير..

تعرفت على "محروس بركة" الذى يتبع "نعيمة" فى كل قهوة تشتغل فيها، يقعد فى حمايتها بعدما يحدث معه فى كل مرة يدخل فيها القهوة للمرة الأولى أن يمسكه صبى القهوة من كتفه يطرده فيهتف فيه "محروس "

: سيبنى .. آكل وأطلب .. آكل وبعدين أطلب

تقول " نعيمة " لصبى القهوة

: سيبه .. هيشرب ويدفع

يأكل"محروس" سندويتشين فول وطعمية ، يدفع جنيهين لصبى القهوة : اتنين شاى..

تبتسم "نعيمة" لمحروس وهى تحط له صينية فوقها كوب شاى وماء مثلج، يبتسم لها وأسنانه الكبيرة محشوة بقشر الفول وبقايا السلطة ، يتابعها بابتسامته الدائمة ..

بعد عشر دقائق تحط له كوب الشاى الثانى ..

جانب القهوة تعرفت " سماح " على " أم هلال" القاعدة بالمش، الفطير،العيش "الطَّب" التخين بعدما قرفصت بمواجهتها تكلمها وتأكل بجنيه فطير ونصف جنيه مشّ ، وتشترى لأمها فطيرتين مع رغيفين عيش "طب" ..

.. لأن "سماح" تتسكع ليلاً فى الشوارع تتعرف على "أم حنان" فى موقف "السبتية" .. تشرب عندها الشاى فى غير مواعيد تواجد "نعيمة" بالقهوة ..

* * *

: أنا أقرف أمسح بيك طيزى .. يبقى انام تحتك ؟!

قالتها "نرجس" الحلوة "لعوض" لما طلبها للزواج..

كان "عوض" قد راح "لهلال" فى عشة الشرب واستأذنه بكلمة علـــى انفراد .. لم يغضب "هلال" أو يندهش ، فقط قال له

: روح ل لها .. لو وافقت انا موافق..

"نرجس" تلبس أحسن ملابس، تأكل بأرقى مطـــاعم البلـــد ، تعتبـــر "عوض" وكل من يشبهه مجرد زبالة ناطقة ..

لا أحد يعرف ما تفعله "نرجس" فى الدنيا، ما يعجبها، ما لا يعجبها..

حتى "هلال" العظيم لا يعرف ..

توقع أى شئ من "نرجس" الحلوة .. أى شئ ..

يتزوج "عوض" بواحدة وافقت تنام تحته ..

فى "الصباحية" تحكى العشش ما فعله وامرأته ليلـــة الدخلـــة بعـــدما تفرجوا عليهما من ثقب صنعوه فى صفيح العشة بعود حديد سخنوه فى النار ..

بعد أسبوعين من نومها تحته قالت امرأة " عوض "

: أمك ماعونها وسخ يا "عوض" ..

"أم عوض" انتقلت لتعيش معه بعدما ترك عشة أبيه مباشرة، وطلبت الطلاق من "الخول أبو رخصة" ورفض..

لما "عوض" رفض فى البداية أن تعيش معه أمه ، صرخت فيه أمام الناس

:أنا زهقت وقرفت من أبوك .. تعبت ع الآخر ع الآخر ..

كان "فوزى" لا يحس بنصف رغبة فى مضاجعة امرأتـــه إلا بعـــد الفرجة ساعتين على أفلام السكس، لا يحـــدث لـــه انتصـــاب إلا إذا حشرت إصبعها الوسطى كاملاً فى إسته ودفعته فيه دفعـــات قويـــة متسارعة وهيَّجته عليها بتأوهات مرهقة مزيفة ..

رفض "فوزى" أن يطلقها ..

قبلها "عوض" فى عشته غصباً عنه ..

: أمك ماعونها وسخ .. أمك شايلة يا "عوض" ..

اكشف عليها ..

امرأة " عوض " تدفعه لمواجهة أمه لتترك لهما العشة الضيقة

: مراتك نجسة يا "عوض"

امرأة "عوض" تنام تحت "عفاشة الكبداوى" لأجل رغيـــف كبـــدة ؟؟

تفعلها أمه بلا مقابل ؟؟ تفعلانها تحت " عفاشة " بلا مقابل ؟؟

" عوض" ..

يحتفظ فى ذاكرته بصورة قديمة لأمه تسحبه طفلاً من يده لشوارع بعيدة ، تدخل بيوتاً أسمنتية واسعة ، تتركه على سجادة كاتمة للصوت فى صالة كبيرة ، بين يديه طعاماً ودمية تصدر صوتاً غبياً لم يحبه أبداً ..

تغيب أمه فى حجرة بآخر طرقة طويلة مظلمة ، بين لحظة وأخرى تشد أذنه ضحكة " تتشرمط " بطول الطرقة ..

لما ترجع العشة يتعارك معها أبوه برجولة تتخنث بسرعة لما تشتمه وتبص فيه بوقاحة ، يسكت بسرعة ، يقعد فى الركن يأكل من كيس ملأته لحماً وأرزاً وطبيخاً من مطبخ بيت أسمنتى بعيد ..

: أنا مش عارفة أنا جايباه من مين ؟؟

يسمع " عوض" أمه تقولها لامرأته لتغيظها ، فيختار أن يواجه أمه، خاصة وقد حرمته امرأته جسمها إلى أن يكشف عن " ماعون " أمه

: أنا هاخدك صيدلية الدكتور " عصام " يا امه ..

* * *

"البلوتوث" .. الناب الأزرق ..

خاصية فى موبايل –نوكيا ٦٦٠٠ أبو كاميرا الذى أخذته " فراولة " هدية من لواء الشرطة ..

تسمح خاصية " البلوتوث" بإرسال واستقبال رسائل وأفلام مصورة فى مساحة دائرية نصف قطرها ١٠ – ١٥ متر مع أى موبايل آخر به خاصية "البلوتوث"، بشرط أن يكون الموبايل المستقبل مفتوح على "البلوتوث" فى نفس لحظة الإرسال ،ويوافق صاحبه على استقبال الرسالة..

.. استخدمت "فراولة" تلك الطريقة الجريئة لاصطياد زبائنها من "المولات" التجارية، كافيتيريات فنادق الخمس نجوم، صالات الديسكو..

تقعد فى المكان، ترسل مقاطع لأفلام سكس مع اسمها ورقمها لتلتقطها كل موبايلات "البلوتوث" المفتوحة فى مساحة ١٥ متر ..

لا تعدم " فراولة " زبائن كل ليلة ..

انتقلت "فراولة" فى مرحلة "الناب الأزرق" من عشرة جنيهات فى الساعة لمائة ثم مئات، ودولارات فى حالة السياح العرب ..

تميزت المرحلة بالحضور القوى للواقى الذكرى / الكبُّوت، تشتريه "فراولة" من فلوسها وتضيفه للحساب ..

تشترى لزبائنها أفضل أنواع "الكبُوت" برائحة الفواكـــه الطبيعيـــة ، تحطّ للزبون المميز "الكبُوت" الأخضر برائحة " التوت البَـــرّى " .. المفضل لها ..

"حسين" ..

لم ترغب فى حياتك أكثر من النوم فوق " فراولة " ..

"فراولة" تسحقك بجسمها ، تفردك، تبطّطك، تسوّيك ذكراً منتصباً لـــم يمسها أبداً..

افعلها يا "حسين".. مجرد مومس تعرف شرطها الوحيد: الدفع قبـــل الرفع..

لن تضطر لوساطة من "عوض" أو عمها "بدرى"..

تحتاج فقط عشرة جنيهات لتقضى معها ألذ ساعة فى عمرك..

كنت تملك الجنيهات، لكنك لم تملك الجرأة الكافية لتقتـــرب منهـــا .. تشوفها قادمة فأعد لك : واحد .. اتنين .. تلاتة .. تهرب ، تصـــفّى نفسك بين أكوام الزبالة..

الآن التسعيرة مائتى جنيه للساعة ..أنت لن تفعل غيـــر أن تنســـحق أكثر وأكثر ..

تشوفها وهى "تشخر" للمخبر، ترفع "التى – شيرت" تحـــت بزّينهـــا وتضرب بكفها على "سوّتها" تقول له

: اللحمة دى كلها بمية جنيه بس؟!

تشوفها وهى تطرد عمها/ قوادها " بدرى" من عشـتها ، تضـربه بالشبشب على ظهره ، فأعرف يا "حسين" أنى لو عددت لك لألـف لن تفعلها ..

تظل تحب "نرجس" ولا تنطق كلمة ..

تنهار بين الزبالة بعيداً عن "فراولة" ..

متعتك العظيمة فى عزبة "الوحايد".. تعبر "مزلقان الدويقة" المواجـه لـ"ترب الغفير"، تركب ميكروباص متهالك تدفع له أجرة ربع جنيه وتنزل فى "الوحايد"، تبص عليك من ناحية الشمال بارتفـاع خمسـة أمتار "عزبة العرب" ببيوتها العشوائية الفقيرة جداً وعششها الصـفيح أوالخشب ..

لو أردت تصعد "لعزبة العرب" بشارع ترابى علـى شـكل مطلـع يرغمك أن تنحنى وتبص للأرض..

من "الوحايد" يمكنك الوصول بسهولة لـ "عزبـة بخيـت"، ومبـانى "الدويقة الجديدة"..

بعد منتصف الليل تعرض قهاوى "الوحايد" أفلام سكس فى بث مباشر من الدشّ أو مسجلة على شرائط فيديو، القهـاوى أبوابهـا مفتوحـة لآخرها، ممتلئة بجمهور لا يعرفك ولا تعرفه، مما يريحك ويوفر لك

مزيداً من الحماس المطلوب.. طلبة، شباب، عمال، ناس منقطعين عن بلادهم البعيدة، صاحب القهوة يقف خلفكم بيده الريموت كنترول يستمنى على أرواحكم ..

يكتم صوت التليفزيون، تتلفتون حولكم تلهثون

: علِّى الصوت يا عم.. ارفع الصوت.. الصوت يا عم..

صوت..ووت..ووت ..

يأمركم بدفع جنيه ، يلمُّه صبى القهوة منكم بسرعة ، يرفع الصوت..

عرفت اللعبة يا "حسين" ؟

يُغيِّر قناة الساتيسفاكشن (Satisfaction) المفضلة عندكم لقناة بورنو خفيفة أو قناة تعليمية ، تسكت أنت ويلهثون حولك

: رجِّع القناة .. القناة يا عم .. رجِّعها ..

جعها .. عها..ها.. ها ..

ليس قبل أن تطلبوا مشاريب أخرى ..

فى الوقت الذى يسجل فيه صبى القهوة المشاريب على ورقة كرتون مقطوعة من باكو معسل.. يلتقط الجمهور أنفاسه ، ترتاح الأيدى القابضة على الانتصاب الأليم ، يتنقل الريموت بين المحطات الخفيفة .. لما تظهر محطة الشواذ تسمع ضحكات وصوت من الخلف يقول على سبيل الترفيه

: سيبهم شوية ..

تتلفتون بغضب

: غيِّر يا عم .. اقلب يا عم .. عم ..

ام م .. ام ..

العجائز يكتفون بتدخين الشيشة فى القهاوى الهادئة التى تعرض الأفلام المسجلة ، يبحلقون ، يبتسمون ، يلعنون ببؤس ..

و.. رائحة الكبدة المبجلة تعبئ الهواء ..

واحد .. اتنين .. تلاتة .. ألف .. لن تفعلها يا "حسين "..

بالناب الأزرق تحصل " فراولة " أخيراً على رجلها ..

ساحرها الذى سيمنحها كل أحلامها دفعة واحدة بمجرد أن يفتح قبضة يده ..

" فراولة " كما وعدها الساحر الطيب ستغنى ، ترقص ، تملأ الفضائيات لتكون مطربة ونجمة استعراضية ..

هى أحلى من أى واحدة على الشاشة ..

لكنها تريده أن يحولها أولاً لتكون " أحلام " ..

ترجو ساحرها لترقص فى " الباشا "..

" فراولة " سترقص فى الباشا ....؟؟؟

(٩)

عشة الشرب ..

شلة الشرب ..

" هلال " العظيم يقعد كإله منحرف ..

أنت عن شماله يا " حسين " ، ثم دائرة شلة الشرب ..

يطلب "البانجو" قعدة وشلة لأن شربك لوحدك لا يكون له طعم ، لـــن تتحمل وحدتك قاعد تبص للجدران وتبص لك ..

كبير القعدة صاحب أقوى دماغ ، لا يدوخ من الشرب إلا بعدما يقع الجميع، الأقوى فى العراك ومسك السلاح ، قلبه حديد ، شق بطـــن بنى آدم واحد على الأقل ، اسمه معروف وله صيت فى العشش ..

الكبير يقدر أن يأمر أى واحد فى القعدة بالتوقف عن الشرب لو شافه تعبان، كلمته واجبة التنفيذ ، خاصة فى قعدات البانجو ، لو رفـــض العضو المأمور فإن الكبير يمنعه من الشرب معهـــم ثانيـــة : انـــت ماليكش فى الكيف ، يحرم البائس من الشرب مع الكبير والشلة للأبد حتى لو دفع معهم ..

تشربون فى أى وقت .. غالباً عند الظهر، بعـــد رغيـــف ســـمين أو كبدة.. فى الأيام الشتوية يمكن أن يكون الشرب صباحاً طلباً للدفـء،

وقبلما تروح الشغل حتى تعمل "دماغ".. فى الصيفية يكون الشـــرب آخر النهار، أو آخر الليل ليكون الجو هادئاً ويطير الهـــواء بـــدخان البانجو بعيداً ..

الأهم .. "دماغ" قبل النوم ..

الكبير "هلال" يجهز لوازم الشرب : ورق كرتون من علبـــة شـــاى العروسة فارغة ، يقطع ورقتها الخارجية يجهـــز منهـــا " كارتِلَّـــة " (حسب تراث العشة .." كارتلَّة " هو اسم واحد ألمانى كـــان يشـــرب البانجو بالكارتلَّة بدلاً من فلتر السيجارة)

وورق بفرة ..

البانجو يطلب أكل ، خاصة أكل الحلو .. رغـــم أن الحلـــو يجعلـــك "تفصل" سريعاً ويضيع تأثير البانجو .. تجهزون بسبوسة أو هريسة، أحياناً تفاح .. وقت الفقر الشديد يُستبدل الحلو بطبق مخلل ..

لا أحد يدفع أقل أو أكثر من زملائه أو يخدمهم ، كل واحد يعرف ما عليه ..

"هلال" يلفّ السيجارة ويشعلها، تبدأ وتنتهى عنده .. لأن من يبدأ السيجارة يشرب أكثر من الجميع ، لو أحس " هـــلال " بالتعـــب يمنح شرف شعلة البداية لغيره ..

(لم يمنحك هذا الشرف يا حسين) ..

البانجو يطلب ضحك وتهزيئ، لو مر قريباً منكم واحد ليس لـه فى الشرب تنادونه وتقعدونه بينكم ليشرب، يدوخ، تضـحكون، يعاند ويشرب أكثر ليثبت رجولته حتى يصبح عضواً فى الشلة، لكن قبلما ينال شرف العضوية لا بد أن يفعل شيئاً جديداً غريبـاً يؤهله لهذا السموٌ، مثل البنت التى سـرقت سـيارة أبيهـا فـى فيلم "ديسكو ديسكو" لتثبت جدارتها بدخول الشلة ..

أحياناً تتنازلون عن شرط العضوية ..

الطماع فى الشرب تُسمُّونه "كلب كيف"، تتركونه يشرب لتضـحكوا عليه ..

قبـل البـانجو يـا "حسـين" تشـرب دواء الكحـة "برونكوفين/ Bronchophane" حتى لا تدوخ بسرعة لأن بـه مـادة الصراصير الفعالة ..

تتركون فاصلاً عشر دقائق بين سيجارة وأخرى لتعرفوا مدى تأثير كل سيجارة ..

تشربون حتى التعب .. خلال ذلك يطلب البانجو الأكل أو الضحك أو الرقص ، أحياناً يطلب موت .. الموت .. تحس إنك فى عالم آخر .. كأنك تحاسب فى قبرك يا " حسين" ..

قعدة التحدى .. ورقات البانجو بمعدل ورقة لكل واحد ، بيرة ، زجاجة "ويسكى"، زجاجة "كينا".. تبدأ القعدة فى الخامسة مساءاً للثالثة صباحاً، أثناء الشرب تتبادلون الفوازير والنكات لتحافظوا على أدمغتكم أطول وقت ممكن ، حتى تَقَعُون واحداً بعد الآخر وتعرفون أقوى دماغ ..

تقع رابعاً يا "حسين" ..

يصمد " هلال" للنهاية ..

فى بداية صداقتك للبانجو بطل فيلم " موسيقى فى الحى الشرقى " يستمر مفعوله معك لليوم التالى، تعتاده فلا يستمر أكثر من ساعتين ، "تفصل" قبل ساعتين لو أكلت ، يطلب معك ضحكاً ، ثم تحس كأن جهازاً فى جسمك متعطل عن العمل ..

يجعلك تفكر فى مائة موضوع بوقت واحد ، لكنك لا تستطيع التركيز فى أى موضوع ، يذكرك بأشياء حدثت لك منذ سنوات ، مثلاً واحد ضربك تروح تعاركه ..

صديقك البانجو المضحك ينسيك أشياءاً كثيرة ، يقلل تركيزك ، يتملكك الخوف بسرعة من أى شئ كما حدث مع " نصر " ابن خالتك القهوجى ..

كان يشرب ورقة بانجو كل يوم مع نفسه حتى صار ينسى ، يتوه وينام فى الشوارع ، دخل المستشفى ، كهربوه بالجلسات .. مرة وهو راجع من القهوة اشترى ورقة بانجو بعشرة جنيهات ، أعطى باقى يوميَّة الشغل لأمه خمسة جنيهات ..

بعدما شرب الورقة، طلب من أمه الخمسة جنيهات ، لكنها اشترت بها سمك الغداء، فانطلق من فوره يقف على قضبان القطار ، جاء القطار بسرعة يُصفِّر "لنصر" .. يصفر بإلحاح.. " نصر" تائه بإصرار.. تائه تماماً ..

صدمه القطار ..

قتله ..

* * *

"ايباتريل / Apetryl" بطل فيلم "جعلونى مجرماً" ..

تعاطيته مع زملاء المدرسة القدامى وأخذوك معهم لسرقة ، أدخلوك أنت الشجاع وانتظر الجبناء بالخارج يراقبون الطريق ..

كنت تائه ؟ دائخ ؟ سكران ؟

قعدت فى الصالة ساعة أو ساعتين وأصحاب الشقة نائمون ، أخيراً قمت لعيناً فتحت أدراج " دولاب" فى الأنتريه ، وجدت فلوساً وذهباً ، أمسكت الذهب فشخشخ، تركته والفلوس، أمسكت الڤيديو ، خبطت الفيشة فى الدولاب فتركته ، قلت لنفسك :

أنا تعبان .. تركت التليفزيون الثقيل لتدخل حجرة فيها عجوز نائمة ، شُفْت حول معصمها غويشة صغيرة ، " كبرت " فى دماغك وحاولت أن تخلع الغويشة فاستيقظت العجوز تصرخ : الحقونى يا اولادى .. كان يمكنك أن تهرب، لكنك قلت

: م يهمنيش حد ..

.. صدمتك قبضة قوية لتجد نفسك وزملائك فى مديرية الأمن ..

صرت " مسجل سرقة " يا " حسين " ..

زوج أختك " أمينة" يفعل مثل كل رجال العشش المنسحقين .. يتزوج امرأة لديها شقة حقيرة خارج العشش ، "أمينة " تسوّى معاشها المبكر من " عمر أفندى " بعدما باعته الحكومة برخص التراب كما باعت شركات ومصانع البلد ..

تشترى " أمينة " بثلثى مكافأتها شقة صغيرة فى "مدينة السلام" تنتقل إليها مع ابنها لتربيه بعيداً عن العشش ، وتشتغل فى حسابات فرن بلدى ..

يرجع لها زوجها، يأكل من مكافأتها لآخر لقمة ثم يطلقها ويرجع لامرأته الثانية ..

لا تجد " أمينة" فلوس ترفع بها قضية نفقة ..

بدون "أمينة" يا "حسين" تصير مهملاً ككومة خراء ناشـــفة ، تطلـــب فلوس من أبيك وأمك لتشرب، لا يعطيانك، تجرح ذراعك بالموس.. هكذا أمامهما، لا يتعطَّفان عليك بجنيه واحد.. كومة خراء ناشفة..

* * *

مباح تماماً ..

يمسكك كمين الشرطة فى "مدينة السلام" وانت رايح تشترى "لـــوط" خشب، يقبض الضابط على الفلوس فـــى جيبـــك، يشـــوف ذراعـــك المخطط بالموس فيلفق لك قضية سرقة ..

لما خرجت إخلاء من النيابة أعادوك "لمديرية أمن الجيزة"، كهربوك، ضربوك بالخرزان لتعترف بما لم تفعله ، تُقِرُّ بجريمة قتل ســـمعت عنها ليرحموك..

نفس الجريمة يقر بها زميلك " شحاتة " فى حجرة مجاورة ليرحموه.. يفهمون أخيراً أنك تريد الخلاص وخلاص ، يعيدونك شـــبه مقتـــول لقسم شرطة "مدينة السلام" فيرفضـــون اســـتلامك لأنـــك "ميـــت" .. يرمونك فى القسم أسبوعاً حتى تقف على قدميك ..

أتوا بأبيك ليستلمك ..

تبلع " ايباتريل / Apetryl" كل يوم بأقصى حد ثلاث حبات ، تحتفظ به فى جيبك فتكون جاهزاً " للحكومة " ولا تحس لما يضربوك ويقتلوك فى مديرية الأمن أو قسم الشرطة ، تقول للضابط بعدما يعلقّك

: أنا ضارب إيباتريل فى توسيفان / Tussivan ..

تبول عليه فى سرك ..

بطل "جعلونى مجرماً" يجعلك تتصرف كمجنون ،لا تعرف لماذا تفعل ما تفعله ..

وانت راجع للعشش ستجرى مع ناس لا تعرفهم ، تكاد تقتل عدة مرات، لأنهم مجموعتان تتعاركان ، كل مجموعة تظنك مع الأخرى، تدور فى العشش ساعتين تائهاً قبلما تصطدم "بهلال" ويرجعك لعشتك.. تباً لها ..

و...

"كيف" يطلب "كيف"، يعرفك "ايباتريل /Apetryl" بصديقه "كوميدال / Comidal" الشهير "بالكونت دراكيولا" الذى يطلب دماً حتى لو اضطررت أن تجرح ذراعك بالموس..

تبلع "كوميدال / Comidal" الرخيص وانت رايح الشغل لتكون أكثر نشاطاً وتطلب من زبائن "كراسى الخرزان" فلوس أكثر من حقك.. أبو عشرة تطلب فيه ثلاثين وأربعين..

عشرين حبة من "كوميدال / الكونت دراكيولا" يستمر مفعولها معك ستة أيام ..

تتمادى فى "البرشام" عموماً لأنه يجعلك جريئاً ويهيأ لك إنك تقدر تضرب فى "الحكومة" ..

البرشام يطلب معك فلوس ، خاصة " ايباتريل / Apetryl" الذى يطلب دمًا كصديقه "كوميدال / دراكيولا "..

والواحد منا يا "حسين" وانت عارف .. يحب أن يكون معه فلوس حتى لو لم يكن يحتاجها ..

"كوميدال / Comidal" يغيِّبك فى الإنعاش أسبوعاً كاملاً بعدما يضربك بهبوط فى القلب ..

"هلال" العظيم يجعلك تبصق بسرعة على " الباركينول /Parkinol صراصير" "مبدع الرسوم المتحركة" لأنه : " كيف العيال "..

بعد مدة قصيرة تعرف أن "ايباتريل /Apetryl" هو تقليد "أبو زمبة" بطل "سوق السلاح" ..

لن تصاحب "أبو زمبة" طويلاً لأنه غالى ويجعلك مندفع جداً، ربما تقتل أى واحد لأهون سبب ..

يتعبك التعامل مع "البرشام" بالطريقة الكلاسيكية :

طبق، موس، معلقة، ربع جنيه ورق.. تطحن البرشام بالملعقة في الطبق، تلف الربع جنيه على شكل أنبوبة وتشد، وتكحت الطبق بالموس .. تباً لها طريقة ..

تعتمد الطريقة الأسرع : تبلع البرشام سليم ، بعده رشفة ماء كبيرة ..

* * *

الكبير "هلال" لم يترك نجماً إلا وعرفك به ، حتى في أوقات الفقر لما لا تتاجر في البلاستيك أو السوليفان تقدر أن تعاشر أدوية الشرب..

تتميز بسهولة تناولها، رخصها، لا تتسبب في قضايا، ويضطر الضابط أن يلفق لك قضية سلاح أو بانجو ليؤذيك..

لا يتطلب منك الأمر غير دخول الحمام لتشرب الزجاجة المرَّة دفعة واحدة وترميها على السطح ، لما يهترئ جسمك تشرب زجاجة واحدة في اليوم ثم نصف ، ثلث ، ثم بمشاركة زميل بعدما يتهرأ جيبك، لا يمكن أن تشارك أكثر من زميل في زجاجة لأن اثنين منكما لابد أن يتضامنا ضد الثالث، فينشب العراك وتنكسر الطاهرة تحت أقدامكم اللعينة..

أعجبتك أدوية الشرب، لأنها تحفظ لك جزءاً من عقلك تتكلم به مع "الحكومة" التى كلما تحبسك بسبب أحد المكيفات تبدله بغيره، حتى وصلت لأدوية الشرب الطيبة .. طيبة جداً ..

" توسيفان / Tussivan" حائز الأوسكار فى " ذهب مع الريح " .. يساعدك على التركيز، وتَحَمُّل الشغل ،التعب ، ضرب "الحكومة" .. أحياناً تخلطه مع "توسيلار / Tussilar" -بطل فيلم جيمس بوند القادم "عمت مساءاً أيها الجنون" - لأن "توسيلار / Tussilar" مرّ جداً لا يحتمل بمفرده ، بهما معاً تزداد قوة تحملك للشغل ورذالة "الحكومة"..

يظهر "كوديفان / Codiphan" الشهير ب "سايكو / Psycho" .. يطلب معك فرحاً أو حزناً حسب قرفته.. لأنك محظوظ يا "حسين" يختصك بالفرح دوماً، فترقص على الموسيقى المتصاعدة بقوة من الكاسيت ، لكنك تحس إن صوت الكاسيت ضعيف مهما رفعته ..
أحلى ما فى الأخ " كوديفان / سايكو " أنه لن يفقدك النطق تماماً فى قسم الشرطة .. تتكلم بشكل مقبول لو سمحوا لك بالنطق ..

يُفتح الستار مرة واحدة فقط عن فنان القرن " أفيون " ..

تجربه مرة واحدة ، تظل تتذكره بمرارته التى تشبه مرارة "الترمس"، وطيرانه بك لكوكب بعيد .. بعيد جداً ..

"معبود الجماهير" .. مستر / حشيش ..
لماذا يا "حسين" لا تدعمه الحكومة لأجل خاطر دماغك؟! .. الحكومة الفقرية التى تمنع عنك كل ما يبسطك أنت تحديداً .. لماذا كل هذا التعنت والقرف ..

تتنوع علاقتك بمستر / حشيش بين "السيجارة"، "الكنشة"، "الدبوس"، "الغرقانة" ..
لكنك تفضل "الكنشة " .. بايب صغير تصنعه بنفسك ، تلف فى فتحته عدة مرات سلكاً رفيعاً جداً ، تفتت داخله الحشيش ، تشعله .. تشد الأنفاس من فم البايب محاولاً تقمص دور العظمة ..
أداؤك كان سيئاً جداً كل مرة ؟؟

"حسين" ..
هل واجب عليك أن تدفع "للحكومة" حتى تتركك لحالك تشرب على كيفك ، مثلما تسمح " للخرشاوية " بالبيع أمام عينيها ليلاً ونهارًا لأنهم يدفعون الشهرية بالتمام والنظام .. ؟؟

طظّ ..

صيدلية الدكتور " عصام " فى الخدمة ٢٤ ساعة ..

لا يهم استغلاله لك ، والفلوس الزيادة فى السعر .. حقه يا "حسين" ..

"حسين"..

ألم تقرر بعد كيف ستموت ؟؟؟

إلى متى تبيع دمك فى ميدان " باب الحديد / رمسيس " لسيارات وزارة الصحة التى تشفطك بحقد ، وتمنحك فى كل صفقة عشرة جنيهات وعلبة عصير "جهينة" صغيرة ؟؟

"حسين"..

بأية طريقة وعلى أية هيئة تنوى أن تموت؟؟؟؟؟؟؟؟؟

(١٠)

" الخوف.. كان هو الإحساس الملازم للإنسان الأول، فبدأ يرسم فى الكهوف رموزاً وأشكالاً يعتقد أنها تحميه، بمرور الوقت تطور الرسم ليصير أكبر وأوضح، وازداد اعتقاد الإنسان فى حماية هذه الأشكال له حتى صار اعتقاده يقيناً، ثم يفكر الإنسان فى أشياء أكبر مثل طير أو حيوان، أو ظواهر طبيعية كبركان، أو مخلوقات عظيمة كالشمس والنجوم، عندما تختفى الظواهر الطبيعية والمخلوقات العظيمة، يصنع بيديه من الحجارة أشكالاً تظل أمامه دائماً، يتعاظم إيمانه بها حتى يعبدها، ثم تنهدم الأصنام ولا تتكلم ولا تدافع عن نفسها، فيسيطر الخوف على الإنسان من جديد ويملؤه اليأس من قوة تحميه يراها وتظل دائما معه ، فيلجأ للاعتقاد بقوى غير مرئية يؤمن بها إلهاً يحميه "

.. مزيج من أفكار وكتب فى دماغ " فؤاد"، يربك بها "سماح"، يحاول أن يثبت لها أن الخوف فقط هو ما يُخضِع الإنسان ، ليس ثمة إله موجود يمكنه أن يلجأ اليه ..

هى غريزة الخوف تخضعه لا أكثر ..

يرميها "فؤاد" فى الفراغ ويتحسس منحوتاته، ترقبه "سماح"، إحـــدى قدميها فى الفراغ والأخرى على حافة تقاوم الانهيار ..

تنطلق "سماح" للشارع والناس تبحث عن الرب ..
بداخلها إحساس أن شيئاً ما خرَّب العلاقة بين الرب و"فؤاد" .. شـــئ فعله الرب لم يتقبله " فؤاد" وظل يسأل

: لماذا ؟! لماذا ؟! لماذا ؟! ..

ولما لم يسمع الإجابة بأذنيه، أو ربما لم يمنح نفسه الفرصة لينصت للرب ، دهس كل العلامات ليؤكد لنفسه أنه ثمة لا شئ .. كأنه يعاقب الرب ..

كان فقدان " فؤاد " لأخيه فى الحرب هو ما فعله الرب ولم يعجـــب "فؤاد"..؟؟

هكذا ؟! هذا كل شئ ؟! ..

تسأل " سماح " نفسها

: هل يسألها " فؤاد " ويسأل الرب أسئلة خاطئة لذا لا يتلقى إجابات؟؟ .. أم يتعمد اختيار الإجابة الخطأ من بين الأقواس يحطّها فى فـــراغ السطر ...؟؟

* * *

يمشى "چورچ" مع "سماح" فى شارع "٢٦ يوليو" يكلمها عن الصورة التى احتلت الصفحة الأولى فى معظم الصحف لشابة من "عمان" مسخت حيواناً مقرفاً لأنها نزعت المصحف من يد أمها وهى تقرأ فيه بصوت مسموع، ورمته للأرض حتى لا تزعجها أمها بصوتها وتشوّش عليها الأغنية التى تستمع إليها من الدش، يسألها "چورچ" إن كانت وصلتها مثله رسالة على بريدها الإلكترونى تحمل صورة الفتاة الممسوخة تحتها عبارة " هذا انتقام الله " ..

تسأله "سماح" إن كان يعتقد أن الله يفعل هذا؟ إن كانت هذه فكرته عن الله ؟

.. تؤكد له أن الرب أعظم بكثير من أن يفعل هذا ..

الله لن يفعل بمخلوقاته هذا القرف .. حتى لو غضب ..

تسأله : هل حدث فى تاريخ البشر مع الله أن عاقب أحدهم لحظة خطأه ؟

.. الله لم يفعل هذا حتى مع الشيطان ، منحه أكثر من فرصة ..

لا أحد غير البشر يمتلك قدرة على التفاهة .. لذا نعاقب بعضنا البعض فى الحال .. وأحياناً بالقتل ..

بمناسبة القتل يذكر " چورچ " العدد الكبير للصحف المتخصصة فى أخبار الحوادث، عدد الناس الذين يقبلون على قراءتها بإصرار من الغلاف للغلاف كأن الكل يتشفى فى الكل .. الواحد منهم يقرأ

الحادثة، ربما يتصنع التعاطف أو الرفض ، لكنه فى كـل الأحـوال يبتسم لنفسه برضا ويقول فى سره

: الحمد لله .. المصيبة حصلت لغيرى

ترد " سماح "

: نوع من السادية يا " چو " .. ولا إيه رأيك ؟

"چورچ" يحب جداً الوحمة الحمراء فى "سماح"، تعجبه طريقة تدخينها للشيشة والسيجارة لما تسحب أول أنفاسها تنفخه بقوة بشفتها التحتانية لأعلى ليهز خصلة من شعرها الأسود على جبهتها ، يحـب طريقـة قعودها فى الكرسى البلاستيك بقهوة "التكعيبة" لما تقعد فى الشـارع تحت شجرة "الفيكس" الكبيرة، بمكان يسـمح لهـا تشـوف "التـاون هاوس"..

" چو" يحب دماغ " سماح " الممتلئة لآخرها بأشياء كثيرة من بينهـا جنونها الخاص .. يكره جداً ارتباكها أمام أخوها "فؤاد" ..

"قشطات".. تقولها "سماح" بحماس وتضرب بكفها كف "چو"، تفتح له مجلة "العلم" على صورة المسخ المتهمة به الشابة العمانيـة، ومعهـا خبر يقول إن الصورة لفنان استرالى، عرضت بأحـد المعـارض، كانت عبارة عن مجسمات تَخيَّل فيها الفنان تناسخ البشر مع الحيوان باستخدام التقنيات الحيوية ..

غضب :

" چورچ " لا يغضب فى الدنيا أكثر من شيئين :

فى الميكروباص لما يمد يده لراكب فى الكرسى الذى يليه يأخذ أجرته يوصلها للسائق ، ويسمع بعد لحظة نفس الراكب يهمس لجاره :

: صاحبك أربعة ريشة ..

يفهم " چورچ " أن الراكب شاف الصليب المدقوق فى باطن رسغه..

الغضب الثانى : ثلاث ثوان من الصمت المطبق بعدما يقول "چورچ" اسمه بتلقائية لشخص بدأ كلامه معه منذ دقائق .. يفقد الشخص حماسه للكلام ، يسأل الهواء عن أى شئ ..

تضحك " سماح " ببساطة

: كَبَّر دماغك يا " چو " ..

يمران فى تلك اللحظة أمام " الشرنوبى " الواقف جانب سينما "ريڤولى" بمستطيل الشهوة، تسحبه "سماح" من يده تهرول بمرح لكشرى " حمادة " بعد أمتار قليلة

: تعالى تعالى .. أنا عازماك على كشرى نار ...

* * *

: حرام عليك تتهم أمك التهمة دى يا " عوض" .. أمك طاهرة ..
قالها الدكتور "مجدى" بعتاب مؤثر بعدما خرج من مخزن الصيدلية الملحق بها، وتوقف بمواجهة " عوض " يبص له بتأنيب ..
لم يستقبل "عوض" خبر طهارة أمه بالفرحة المتوقعة فى مثل هذه المواقف التى تؤكد الشرف ، لم يظهر على وجهه أى تعبير أسف لأمه التى تخرج من المخزن ، تبص له بقرف وتنزل طرف جلبابها على ساقين تصغران عمريهما بعشر سنين ..
حلفت "أم عوض" عليه بشرفها إن لم يضرب "القحبة مراته" بالشبشب على دماغها أمامها ستقتلها له..
نفذ أمرها ..

بداية من تلك الليلة حرَّمت امرأة " عوض" جسمها عليه ، لم تعد تطلب منه عشة مستقلة أو تلمِّح له بطرد أمه ..
صار "عوض" يقضى أيامه أمام قسم الشرطة والسجل المدنى، لا يرجع العشة إلا بعدما " تتشرمط " امرأته عليه أمام القسم والسجل، يرجع بالليل يعطيها مصاريفها، يحاول أن يضاجعها فترفض بإصرار حتى يئس منها..

استتب الأمن تماماً بين امرأة "عوض" وأمه التى كانت تغادر العشة مقهورة لما تشوفه راجع فى عز الحر يلهث، يرمى صندوق الورنيش من كتفه للأرض ويبص لامرأته بجوع تعرفه جيداً ، فتخرج تغيب نصف نهار حتى يأخذ مزاجه كاملاً ..

بالليل تتكوَّر على نفسها، تمنحهما مؤخرتها وتصدر شخيراً غير منتظم يصدقه "عوض" وامرأته، ويصدران لها أصواتاً توجعها فتركِّب عليها صوراً من خيالها الفذ...

* * *

كوابيسنا هى أحلامنا التى لا نحققها..

هذا ما كانت تحلم به " فراولة " ؟؟

" حجرة نوم متوسطة القيمة ، سرير ، دولاب صغير مفتوح ، ملابس حريمى داخلية ملقاة على سجادة صغيرة مستطيلة ، الباب نصف مفتوح يكشف جزءاً من الصالة بأثاثها البسيط ، "فراولة" فى السرير عريانة تحت رجل لا تعرفه يسحقها ، كاميرا تصورهما وتتعمد أن تكون غير خبيرة ، بمصاحبة أغنية لمطربة مشهورة مثيرة تملأ هواء الكادر .. "

خمسة أفلام سكس .. ما منحه الساحر الطيب "لفراولة "..

لم ترقص فى "الباشا" أو تظهر على أية قناة فضائية ..

استعملها الساحر لأفلام سكس تنسحق فيها تحت الغربـــاء ،ويُبـــدّل وجهها على الكمبيوتر بوجه مطربة أو ممثلة مشهورة مثيرة ..

جسم " فراولة " الكمثرى المطواع يـــؤدى أدوار معظـــم مطربـــات الفضائيات بتجسيد رائع ، يتعمد الساحر أن يكون التصوير فى شقق بسيطة وسط ديكورات عادية ليكون السكس أقرب للتلقائيـــة ، يؤكـــد ذلك بحركة الكاميرا الغير متزنة ، والتصوير من زوايا غير مريحة للعين لا تكشف كل شئ بوضوح ، مما يزيد الإثارة ويمنح المشـــاهد الملهوف فرصة لتشغيل خياله .. ما يحرص عليه الســـاحر لقطـــات مقربة لوجه المطربة أو الممثلة مع تدعيم نـــاجح بجســـم "فراولـــة" الكفء، فيكون الذَّكَر الغريب معدوم الوجود تقريباً ، يمكن اســـتبداله بقطعة بلاستيك ..

المطلوب هو النجمة المنسحقة ..

"الشرنوبى" أحد مُروِّجى هذه الشرائط التى يتم نسخ اسطوانات لها.. يميل على أذنك وهو يهرش عضوه : شريط جديد يـــا بـــرنس..؟؟.. يقول لك اسم النجمة المنسحقة ..

هذا ما كانت تريده " فراولة " ؟؟؟؟؟؟؟؟

* * *

استتب الأمن فى عشة " عوض" لأن أمه وامرأتـــه باتفـــاق ضـــمنى تناغمتا فى النوم تحت "عفاشة الكبداوى"، بنظام وبلا ضجة أو قسوة على الشاب الغامض المريح معدوم الكلام الذى يشتغل كآلة قوية يتم تزييتها كل يوم، فلا يصدر أى صوت إلا فى آخر نشوته.. يشـــهق كأن إحداهما تسحب روحه من عضوه ..

أحس "عوض" بما يحدث تحت "عفاشة" فلم يعد يرجع للعشة أبـــداً ؟؟ اكتفى أن يرسل مصاريف امرأته مع المخبر الدهنى، الـــذى غالبـــاً سيمارس إزهاق روحه من عضوه ....؟؟
كانت "أم عوض" قد بدأت تتناول أدوية الإجهاض قبل ثلاثة أيام مـــن اليوم الذى فحصها فيه الدكتور " مجدى" ، حيث أخبرها أنها حامـــل فى ثلاثين يوماً، اتفقا على أن يشعرا "عوض" بالذنب وكم هو ظـــالم لأمه .. بشرط أن تؤكد الأم " لمجدى" أنه عظيم .. عظيم جداً ...
" عوض " يعرف ما يحدث تحت " عفاشة الكبداوى " ؟؟؟؟؟

* * *

"فراولة" تتمشّى آخر الليل على "كورنيش النيل"، تفكر فـــى "فـــرش" الصعيدى وصبيين من الماضى ..

الماضى البعيد؟؟؟

تبص كعبدة لنوافذ الفندق المضاءة تعدها ، تتوقف بعينيها لما تلمح أحد آلهتها يتمطى خلف الزجاج الدظيف..

تراقب الشابة الكفء التى ترقص فى قارب الفقراء ، بينما تلمع أضواء "الباشا" فى عينيها تبكيهما ..

"فراولة" تمشى كأنما عَلَقَت روحها بغصن شوك ، كلما تريد التملص وتصدر منها أية حركة تتقطع ويتجمع الذباب يشرب نزيفها ..

"فراولة" لم تسكن قطع السحاب كآلهتها ، لم تعرق بحبة خرز واحدة، لم تحطّ قدمها فى "الباشا" التى نهضت من رقدتها على الشاطئ لتركب سحابة عالية عند الآلهة ..

(١١)

" تخيل نفسك جندياً مهزوماً تجلس وحيداً فى قعر حفرة ضيقة مظلمة بآخر الدنيا ، أصابعك متجمدة على بندقيتك الباردة ، نفد طعامك ومائك منذ أيام ، رائحة جثث زملائك المتعفنين تعبئ أنفك وفمك .. هل يبقى لك شئ فى العالم ؟؟؟

يبقى لك أى شئ ؟؟؟؟؟

ستسأل نفسك .. أين الرب ؟؟؟!!

ربما تقول لنفسك : ليس ثمة رب موجود ..

تقول ذلك مرة .. مرتين .. ساعة .. ساعتين .. ثم تبكى .. تبكى.. تبكى معتذراً..

لأنك .. وحيد .. ضعيف .. ناقص ..

ستعرف أنك محتاج للرب .. ووجود هذا الرب ..

لم يبق منك ولك فى العالم غير الإيمان ..

فى اللحظة التى تفقد فيها إيمانك ستتأكد فى قلبك وضميرك أنك محتاج لهذا الإيمان .. أنه لا بد من وجود رب لك ولهذا العالم ..

ستحتاج لمن ينقذك قبل سقوطك من آخر العالم .. هل تتوقع لنفسك غير الرب ؟؟

" فؤاد" .. الخوف هو دليل لوجود الرب ووجوب هذا الوجود .. لأن إحساس الإنسان المزمن بالنقص والضعف والاحتياج يؤكد هذا الوجود ..

أنت تحتاج لمن يمتلك قوة الكمال، وكمال القوة ..

سترتعب من إحساسك بالخوف،المرض، الوحدة، الفقر، القهر، الموت، الألم، وغيرهم وحوش أخرى .. تحتاج من يتخطى بك كل هذا .. من تتخطى إليه كل هذا .. ليس من سبيل سوى الرب .. الله .. ليس لك سواه ..

أنت بضعفك واحتياجك وخوفك ستبحث لك عن إلـه .. لابد وأن يكون لك إلٰه ..

المسألة تتلخص فيما تختاره إلٰهاً لك..

أن تختار إلٰهاً يليق بك كإنسان لديه عقل وتمييز ..

علبة الكبريت السخيفة ؟؟

الله لن يثبت لك وجوده بتحريك علبة كبريت سخيفة أرعبتنى بها ..

لن يجعلك تدركه بهذا الشئ التافه الفاشل ..

أنت لا تحتاج علبة كبريت لترى الله يا " فؤاد " ..

فقط تحتاج أن تنظر فى نفسك ..

إيمانك بوجود الله هو فقط القادر أن يخرجك من حفرتك المظلمة الضيقة ، يحفظ وجودك، ويحمى روحك من التمزق..

إن لم تدرك الرب داخلك ..

ان لم تر الله فى نفسك .. فلن تراه أبداً..

انظر لنفسك بسكينة ومحبة وطمأنينة .. سترى الله .. "

* * *

: أبويا نفسه يلبس جلابية "كشمير"..

يقولها "هلال" ودماغه فى حجر "وجنات" تمسح بيدها على شـــعره ، باب العشة مفتوح للمقابر والهواء الساخن .. يبتسم " هلال"

: طول عمره طلباته غريبة ..

: نفِّذ له طلبه ..

: نفسه يشوف يوم القيامة .. ويشوف نفســـه وهـــو ميت بعدما ندفنه ونِرْدِم عليه ..

يمسك يدها يُدخلها تحت قميصه، تخربش قلبه بسبابتها لتؤنسه ..

كان الصبى "هلال" يفاجأ بأسئلة ورغبات أبيه كلما جاء بـــه للعشـــة يخدم له الشيشة .. بعدما يشبع المعلم " حسونة " من الحشيش يحـــطّ قدمى " هلال " فى حجره ، يفرك كعبيه، يبص فى البعيد

: ربنا مش هيفتحها شواية يشوى الناس وخلاص..

: قبرك فين يا آبة؟

: ابقى ارمينى ف أى حتّـة .. بـس ايـاك الـواد "عفاشة" يعرف مكانى ألا يشـقنى وياخـد كبـدى يطبخه سندويتشات..

تنتهى الليلة لما يأخذ الأب ابنه للحمام يحممه ويحمله للسرير يكـوِّر عليه حضنه لطلوع الشمس ..

لن ينسى " هلال" هذا الكائن الدافئ

: كشمير فى السجن يا آبة ؟! حاضر يا آبة .....

* * *

بعد وردية " المعلم " صاحب القهوة التـى تشـتغل فيهـا " نعيمـة روبابيكيا " دخلت "سماح" وهى تتكلم فى الموبايل ، تحـت باطهـا صحيفتها، يظهر في عناوينها الرئيسية:

" غدًا الاستفتاء حول تعديل المادة ٧٦ من الدستور المصرى للسماح باختيار رئيس الدولة بين أكثر من مرشح"

" حركة كفاية والمعارضة يطالبون بمقاطعة الاستفتاء "

تقول حركة "كفاية" الغير حزبية المعارضة التى تطالب بـالتغيير إن تعديلات المادة أضيفت عليها تعـديلات فرغتهـا مـن مضـمونها،

وحمّلتها قيوداً أسوأ من نظام الاستفتاء ، لذا فهم ومعهم أحزاب المعارضة يطالبون الجمهور بمقاطعة الاستفتاء على التعديل ..

قعدت "سماح" فى آخر القهوة

: أنا جاهزة يا "چو" ..أشوفك ف الجورنال الصبح .. باى

حطّت " نعيمة " القهوة "لسماح"، وظلت بمكانها تبص فى عينيها بوحدة .. سألتها " سماح "

: مالك يا " نعيمة " ؟؟

: مخنوقة وعايزة أجرى ف الشوارع

: تعالى نقلع هدومنا ونبرتع سوا

: والقهوة ؟

: fuck it.. طظ يعنى

سحبت "نعيمة" قميصها من مسمار بالحائط .. الراديو يسرسب وشيشاً فيه صوت "نجيب الريحانى" المَخربش

: علشانك انتى أنكوى بالنار والقّح جتتى ..

وادخل جهنم وأنشوى وأصرخ وأقول يا دهوتى ..

.. لما سألها ابن صاحب القهوة ، قالت له

: أبويا مات ورايحة أدفنه..

كانت "نعيمة" اتصلت الصبح "بسماح" وهى فى مظاهرة صامتة عند ضريح "سعد زغلول".. قالت لها إن "خليل" بدأ يغير معاملته لها ويظهر على حقيقته ، ليلة أمس كانت ثالث مرة يرفض تقعد جانبه بحجة أنه أولى بأجرة نفر..

: هندخل سينما..

: ايه ؟! سيما ايه يا " قشطات " .. باقول لك مخنوقة ..

: احنا مش اتفقنا نجرى ونبرتع ؟ لما تدخلى كإنك بتجرى وتطيرى وتعومى وتبكى وتضحكى .. وكمان تنامى مع واحد تحبيه ويحبك ..

: هاهاها .. إن كان كده ماشى ..

.. بعدما قطعت تذكرتين صالة على حسابها سألتها " سماح " عن "فراولة"، فقالت لها " نعيمة " إن " فراولة " راحت مع " محروس" "لحى الحسين" بعدما قعدت ساعتين فى القهوة حزينة تبص له وهو قاعد فى الركن يأكل فول وطعمية ويشرب شاياً ، لما وقف قالت له

: خدنى معاك يا "محروس"

.. وقبلما تروح مع "محروس" سألتها "فراولة"

: " نعيمة ".. تعرفى إذا كان ربنا بيكرهنى ولا لأ ؟؟

* * *

العشش..

بوكس " الحكومة " ..

الضابط فى الكابينة ، بالمؤخرة عساكر أمن مركزى ،المخبر الدهنى، المرشد " عوض " ..

يتوقف البوكس أمام عشة "بدرى"، يركل الضابط بابها فيدخل أربعة عساكر يشدون "بدرى" من فوق امرأته

: قوم يا ابن القحبة ..

لا يفاجأ "بدرى"، يلتقط بنطلونه من الأرض، تسحب امرأته الملاءة الوسخة تغطى بزِّينها، تبص حلمتها البنية من قطع واسع فيها، يتكعبل "بدرى" بستيان مرقَّع جانب السرير فيجذب قدمه بقوة يقطعه..

الضابط يضرب "بدرى" على قفاه كفاً يرخى انتصابه تماماً ..

يتنقل البوكس بين العشش بمعرفة المخبر و" عوض " يلملم الأعضاء البارزين ..

البارزين فقط .. أصحاب الصيت ..

"حسين" ..

تهرب مع "هلال" ، تلاحقه بأنفاسك المقطوعة وهو يجرى بين العشش لعمارات "الخرشاوية" .. يرفعك بيده القوية ، تقف جانبه فوق عمارة، ترقبان البوكس اللعين يسحق العشش ..

لن يقبض البوكس على " عفاشة الكبداوى " ..

"عوض" أخبره بحملة " الحكومة " ..

"الشرنوبى" فى قسم الشرطة منذ ثلاث ليال ، يغسل، ينظف، يُعلّق فى السقف، يُضرَب بالخرزانة، لأنه مع ثلاثة من زملائه نتفوا عانة "أمين شرطة" كان "يستقطعهم"، يأخذ منهم نظارات شمس، دهانات ذكورة، ملابس داخلية، ولا يدفع لهم.. آخر الليل لفُّوه بسرعة فى ملاءة "الفَرْش" وحملوه لممر خلفى ، كتفوه، سدُّوا فمه بأيديهم، نَتَفَ له "الشرنوبى" عانته بغيظ شديد ..

أسموه " المنتوفلى "..

.. يقف "الشرنوبى" فى مكتب الضابط جانب "بدرى"، حولهما ساكنى العشش البارزين، الجميع مندهشين من هذا الحضور العظيم، وكلام الضابط الذى لا يخلو من تهديد وبعض الود فى وقت واحد ..

"عوض" يقف فى ركن الحجرة ، المخبر يمد يـده للحضـور بعلبـة سجائر مفتوحة، يده الثانية تضرب كل عظيم على وجهه ..

:إمسك .. سعادة الباشا أذن لك..

الضابط / سعادة الباشا مسترخياً تماماً فى الكرسى يقول للحضور

: الحكومة عايزاكم فى خدمة ..

وه تاخدوا فلوس وأكل .. وإفراج ...

* * *

هكذا تفعل " سماح " بنفسها لما تحس بحزن ووحدة ..

تتمشى فى الشوارع ، تروح أماكن تشوفها لأول مرة ، تتفرج علـى الناس، البيوت، المبانى، الأطفال، أفيشات الأفلام.. تتصنَّت لأغنيـة تصدر من راديو فى قهوة أو كشك ..

يمكن أن تركب أوتوبيس أو ميكروباص فيه كاسيت ، تقعـد جانـب الشباك تركن دماغها للزجاج الموارب تتفرج على الشوارع والنـاس وكل شئ، تدخل قهوة فيها راديو أو دشّ بمحطات غنائية.. (تُفضِّـل الراديو بأغنيات قديمة تغنى لليل، البحر، الناس، الشجن) .. تـدخل سينما ..

أخيراً تقعد وحدها تتفاهم مع نفسها تكلمها فى السر أو بصوت هادئ .. تعيد تجميع روحها المقطَّعة المخبأة تحت الصخور ..

هذا ما فعلته " سماح " "بنعيمة" ...

دخلت بها فيلم " أحلى الأوقات " فى سينما درجة ثالثة لأن أسابيع عرضه فى الممتازة انتهت منذ فترة ..

"سماح" بشكل شخصى تحب " أحلى الأوقات " .. خاصة أن مقاطع من أغانى مطربها المفضل " محمد منير " لها حضور مميز فى مشاهد صغيرة ..

"سماح" تتفرج على الفيلم للمرة الثالثة.. يحكى عن شابة ممتلئة بالشجن تبحث عن شخص مجهول يرسل لها مظاريف صغيرة فيها هدايا تحبها، ومعلومات حميمة عنها تفيد أن المجهول يعرفها جيدًا، خلال بحثها تستعيد الشابة صديقتى المدرسة وذكريات المراهقة، لكنها تصدم بقوة لما تقابل أبيها الذى لم يحاول أن يشوفها منذ عشرين سنة، ولم يتحمس الآن لتبقى معه أو تزوره فيما بعد، أو يكون بينهما علاقة حقيقية..

بطلة الفيلم كانت تبحث عن حضن كبير؟؟

بحر كبير ؟؟

قارب كبير ؟؟

بكت "نعيمة" مرتين فى الفيلم ..

١- لما البطلة قضت ليلة محبوسة فى قسم الشرطة مع صديقتيها، وقالت المتزوجة منهما إنها مشتاقة لحضن حب حقيقى يجعلها تحس بالأمان وبأنوثتها

٢-لما البطلة قابلت أبيها المصوراتى ، وحاولت أن تُذَكِّره بأنها ابنته التى لم تَشُفُّهُ ولم يَشُفْهَا منذ عشرين سنة ،وهو لا يتذكرها..

لم يهتم بذلك ..

فى السينما جربت " نعيمة " بحريتها ، طارت ، بكت ، ضحكت ، عامت ، غنَّت ..

لكنها لم تتم مع واحد تحبه ويحبها ...

، شوارع وأزقة، فُرْجَة على الناس والمحلات، آيس كريم، لب، فيشار، سندويتشات كبدة، سجق، ضحك، جرى، تعب، نكت، هزار، جد، معاكسة شباب، قعود على قهاوى، أرصفة، بكاء ، طبطبة، مساحات صمت..

كانت حاجات كافية لتستعيد " نعيمة " روحها من تحت الصخور..

ركبت "سماح" ميكروباص "الوايلى" جانب الشباك الموارب ..

اتجهت "نعيمة" لميدان " باب الحديد / رمسيس "..

لن تنام قبلما تتكلم مع "خليل" ....

(١٢)

الخامس والعشرين من مايو ٢٠٠٥
يوم الاستفتاء لتعديل المادة (٧٦) من الدستور المصرى ..

"سماح" و "چورچ" مع حركة "كفاية" والمعارضة فى مظاهرات بشوارع وميادين "القاهرة" .. يتجمعون أمام "نقابة الصحفيين" ..
تقف " سماح " أعلى السلم أمام باب النقابة تُكلِّم مراسلة صحفية أجنبية، "كردون" أمن مركزى يطوق المكان، بالجهة المقابلة للنقابة يقف فى الظل عدد من رتب الشرطة.. ثمة لؤم كبير ينتظر إشارة ..

يظهر"بدرى"، "عوض"، "الشرنوبى"، والرفاق الموعودين بالأكل والفلوس والإفراج قادمون من شارع "رمسيس" بهتافات قوية لا يفهمها "بدرى".. يبدو له الأمر كفيلم أفرنجى لا يفهم منه شيئاً، يتلفَّت حوله، يحرك شفتيه بعصبية يهتف : أوواوا هو ها يوى مواتى يع يع يعمع .. زملائه يهتفون بحماس ضد " كفاية " والمعارضة :
" يا كفاية .. مش كفاية "
" يا كفاية .. مش كفاية "

وصل "بدرى" ورفاقه " لنقابة الصحفيين"، تأهب اللؤم فى الظل ..
ينفتح الكردون الأمنى، يندفع "بدرى" خلفه "عـوض" لأعلـى السـلم المؤدى لباب النقابة.. يُخرج " الشرقاوى " والرفاق عصيّهم الخشـبية من تحت ملابسهم يضربون بها "كفاية" والمتظاهرين الذين يهتفون :

" الصحافة فين .. الإرهاب أهه "

" بعشرين جنيه .. البلطجية أهم "

"بدرى" يمسك شعر "سماح" يشده بقـوة .. تصـرخ .. يقطـع لهـا "التى – شيرت" من على صدرها، تصفعه، تركله بحذائها القوى فى ساقه، يمسك "عوض" ذراعيها من الخلف ينكفئ فوقها على الأرض..
"چورچ" مفتوح الدماغ دمه يسيل على وجهه يفتش عن "سماح" ولا يلمحها ..

"بدرى" يجرجر "سماح" من شعرها لأسفل سلم النقابة ..
يتجمع حولها دائرة من الأعضاء المميزين ..
ينغلق مجال الرؤية ..
يُسمَع صرخة قوية " لسماح " .....

* * *

: جاتك خيبة يا " روبابيكيا "..

قالتها "ناهد مصاصة"، "صباح تفريش"، "منى آخر الليل"، كثير من بنات وسكان العشش، وهم يتفرجون من خلف زجاج الشباك المُضبَّب على "نعيمة"، ممددة على الكنبة الخلفية بسيارة "خليل" وجانبها زجاجات البيرة الفارغة ..

ليلة أمس ..

بعد "أحلى الأوقات"، ركبت "نعيمة" الميكروباص جانب "خليل" غصباً عنه، لما خلعت "الخمسة وخميسة" من المرآة الأمامية وشتمته، اشترى أربع زجاجات بيرة ونصف كيلو كباب ..

دخلا العشش ..

تعشيًا على الكنبة الخلفية..

شرب "خليل" البيرة دون أن ينطق بكلمة، بينما "نعيمة" تبص فى عينيه اللتين لم تهتما بها طول الليل ..

انتبهت "نعيمة" فى الصباح الغامق لتجد نفسها ممددة على كنبة السيارة، عيون البنات تقشر جلدها

: طب اتدَّارى يا مايلة لما انتى كده..

تتلفت حولها، لا تجد " خليل " ..

تخرج ، تبص لضحك البنات ، تهتف

: مالكم يا قحايب ؟! الواحدة منكم بتتقطع خمسميت حتة بعشرة جنيه .. أنا شربت زيادة وخلاص ..

.. لو عندك سيارة وفى جيبك عشرة جنيهات تقدر أن تلتقط إحداهن من الشارع تعمل فيها البدع ..

"نعيمة" لا تدخل شقق ، تترك نفسها " لخليل" لأنها تحبه وتقدر أن تصفيه فى الوقت المناسب ..

لكنها لا تعرف ما حدث بالضبط ليلة أمس ..

آخر ما تذكره بعدما شرب " خليل " كل البيرة ، ويئست إنه يبص لها .. أنها تمادت فى تدخين "الحشيش" من علبة سجائر يخبئها تحت الكنبة .. الدخان الرمادى، الرائحة المدوخة ..

لا تذكر " نعيمة " من ليلة أمس غير جريها ، طيرانها ، بكائها ، ضحكها و... أمنيتها المُلحَّة .. " تنام " مع واحد تحبه ويحبها ....

* * *

يتم الاستفتاء على تعديل المادة ٧٦ من الدستور المصرى ..

تختفى " سماح " من صحيفتها وقهوة "التكعيبة" أسبوعاً تقضيه على سطح بيتها فى حجرة " فؤاد " التى بقيت على حالها بعد موته ، حتى يدخل عليها "چورچ" معه شريط " مشتاقين " لأحمد منيب ..

.. يموت "أبو هلال" قبلما يلبس " الكشمير " ..

: هاعيش ..

قالها "هلال" واقفاً أمام جثة أبيه فى العشش بعدما استلمتها أمه من السجن ..

المعلم "حسونة" أبو عمود دهن بطول ظهره مات فى سيارة "الترحيلات" لما شحنوه مع عدد كبير من المساجين بأكثر مما تسع السيارة لنقلهم لسجن بعيد .. لم يحتمل الرجل الزحام ونتانة الهواء فاختنق مع مسجونين آخرين ..

رفض "هلال" أن يدفن أبيه فى مقابر الصدقة ، احتار بجثته طول النهار حتى بنى له مقبرة دفنه فيها قبل الليل ..

طوى تحت دماغه ثلاثة أمتار من صوف " الكشمير" ..

الموت ..

كان يأتى فيما مضى سيِّداً مهذباً ..

كان أكثر رحمة وتعقُّلاً ، لا يأخذ إلا العجائز والمرضى ومن لا نعرفهم ، لا يأتى إلا ليلاً ، يتسلل دون إزعاج ، يسحب الروح من صاحبها أثناء نومه ، لم يكن ليهين أحداً أبداً ، حتى لو أخطأ فى

موعده أو الشخص المناسب كان يترك مبرراً يجعلنا نتفهمه ونتقبله بعد ساعة غضب واحدة ..

الآن ..

تخلّى الموت عن أدبه، صار يصادفنا فى الشوارع بأى وقت، يتعمد إهانتنا، حتى أنه تنازل عن كبريائه واعتداده بنفسه، سمح لنا أن نستخدمه ضد بعضنا فى صور قبيحة.. قتل.. تجويع.. تعذيب.. قهر..

صار الموت يتعمد أن يأخذ من نعرفهم تحديداً ..

يأتى فى مواعيد غير مناسبة لأشخاص غير مناسبين بطرق غير مناسبة، لا يترك لنا أى مبرر لنتقبله ..

ببساطة .. تحول الموت الطيب انساناً شريراً ..

ما حدث للمعلم "حسونة" لم يكن موتاً مناسباً ..

كان شيئاً غير مناسب بالمرة ..

"هلال" يلعن ميتين المخبر، يسحب "الخنصر" من جيبه الخلفى يجرح ذراعه، يقطع صدر المخبر، يهدده بقطع رقبته لو اقترب من عشة أمه ..

الجنس ..

قادر جداً أن يخرج "هلال" من حزنه ..

لمَّا يخنقك حزنك ، تبحث عن حبيبك ، ترمى نفسك فـــى حضـــنه ، تريد أن تهرب فيه من العالم ، تحطمه بين ذراعيه ، يجتاحك ألمـــك وحزنك فتجتاح بهما حبيبك ..

تُعبِّر عن كرهك للعالم القبيح فى حضن حبيبك.. تبكى ..

تصب عليه لعنتك ..

تكون هذه اللحظة أعلى درجة من الغضب يمكنك وصولها ..

يربت حبيبك كل ما فيك ، يسرب لك روحه ليمنحك القوة ، يغريـــك حنانه بالتمادى فى الهرب والغضب..

يمنحك حبيبك كل شئ ليرضيك ..

يصير عبدك ..

تفوران معاً تنيناً مجنوناً ينفخ غضبه على العالم ..

تمارسان الجنس بقوة وألم ..

تؤلمه ويؤلمك ، تعذبه ويعذبك ..

تكونان فى حالة هى مزيج من الماسوشية والسادية .. ليست الحالـــة المرضيَّة، إنما التى تشفى ..

تشفيكما معاً ..

حالة تفتت الصخور المتراكمة على صدرك ، تعتقك من القسوة التى تعانيها مما ومن حولك ..
تبكى فى حضن حبيبك ألماً وحرية .. ترتاح ..

هذا بالضبط ما فعله " هلال " و" وجنات " فى عشتهما التى تبص على المقابر ..
"هلال" .. يحطّ دماغه فى صدر " وجنات " .. يغمض عينيه .. يرتاح ..
"وجنات " .. تخربش قلب " هلال " بأصابعها لتؤنسه ...

* * *

" بدرى " كان يتوقع أن يقعد هكذا بمواجهة " سماح " فى عشته ؟؟!

.. "سماح" ..
تكمل تحقيقها الصحفى عن المهمشين، تصادف امرأة "بدرى" قاعدة أمام عشتها.. تكلمها فترفض الكلام معها، تغريها بالفلوس، فتدخلها العشة..

يأتى "بدرى" .. تغريه "سماح" بعشرة جنيهات عن كل ساعتين من الكلام معها .. بعد دقيقة بمواجهتها يعرف أنها " البنت " التى جرجرها من شعرها على سلم المبنى العالى قبل شهور قليلة ..

تسأله "سماح"

:اسمك ايه ؟

:(البنت محبوسة بين ساقيه تصرخ وهو يفك حزام بنطلونها ، تضربه بحذاءها القوى فى ساقه)

:عندك كام ولد ؟

: (يشد بنطلون البنت تحت ساقيها ، تبصق على وجهه)

: بتشتغل ايه ؟

:(يمد يده لكيلوت البنت الأسود ، تمسك يده تعضها حتى تنزف)

: تعرف تقرا وتكتب ؟

: (يضرب البنت فى بطنها وصدرها ويشتمها بأمها شتيمة وسخة)

: بتشارك فى الانتخابات؟

: (يمسك كيلوت البنت، قبلما ينزعه ترفسه بحذاءها الأسود القوى فى محاشمه ، يصرخ متألما، تجرى مبتعدة)

تكررت زيارات "سماح" للعشة، "بدرى" يتهرب منها كل مرة .. تقعد مع امرأته ساعتين بعشرة جنيهات ..

فى الزيارة الأخيرة تركت " سماح " الكارت الخاص بها مع امـــرأة "بدرى" ، طلبت منها أن تعطيه له ليتصل بها ضرورى .. وإلا ...

* * *

يعرف "بدرى" أن البنت الصحفية ستقرفه وتأتى العشة كل يوم لو لم يتصل بها ، لذا....

:آلو ... أيوة أنا " سماح" ؟

:.....

: أنا ف قهوة "التكعيبة" ... تعرفها ؟

:.....

:استنّانى تحت تمثال "عبد المنعم رياض" .. هآجى أخدك

.. قعد "بدرى" بمواجهة "سماح" فى قهوة "التكعيبـــة" تحـــت شـــجرة "الفيكس" الكبيرة، أكل معها سندويتشـــين بـــيض مقلـــى وبطـــاطس مهروسة من "سعد الحرامى" الذى يرسل صبيانه يسرحون بين زبائن

"التكعيبة" وما حولها ويرجعون لهم بطلباتهم على صوانى بلاستيك دائرية صغيرة ..

: تشرب ايه ؟

: شوية شيشة وشاى وعشرة جنيه ..

ملأ "بدرى" دماغه بثلاثة احتمالات عن " سماح " :

١- البنت تعرف أنه من جرجرها على السلالم ، شتمها ، ضربها وكاد يغتصبها ، لكنها سامحته حتى يساعدها فى التحقيق الذى تريده ..

٢- البنت تحب ما فعله بها وتريد المزيد، ربما يتطور ما بينهما لمتعة أكبر ..

٣- البنت لا تعرفه ، لا تذكره بتاتاً ..

البنت / سماح ..

لم تتكلم طول القعدة، فقط تتعمد أن تنفخ دخان الشيشة بوجه "بدرى" الذى لم يفعل غير أن يطلب تغيير حجر شيشته، يلتفت خلفه كل دقيقتين يراقب مؤخرات البنات الداخلات إلى / الخارجات من "التاون هاوس"، حيث يكثرن جداً وقت المعارض الفنية والحفلات الموسيقية..

كان عقله مشوَّشاً بعض الشئ فلم يصنف كل مؤخرة بالماركة المناسبة ..

اكتفى بالمتابعة، وبشابة أجنبية فى ملابس خفيفة تكشف كيلوتها الأصفر واقفة فى شرفتها الخشبية القريبة تتكلم بحميمية مع شاب أسمر..

موبايل "سماح" الموضوع جانب قهوتها يرن رنتين ويظهر اسم "چورچ" على الشاشة.. تدفع الحساب ..

يسحب "بدرى" نفَساً طويلاً من الشيشة ، يقف بمواجهة " سماح " متسائلاً بطمع ..

ارتاحت " سماح " جداً..

" سماح " ..

ارتاحت لما ضربت " بدرى " فى محاشمه بعدما شحذت قدمها وحذاءها القوى بكل غضبها ..

أمسك " بدرى " جهازه التناسلى كله بيديه ، قعد على الأرض ربع ساعة مختنقاً متأكداً أن جهازه الملعون اختفى ..

: انت فاكرنى ناسياك يا واطى يا سافل ..

يا ابن الكلب .. انت واطى .. سامعنى .. انت واطى ..

ارتاحت " سماح " جداً ..

" سماح " ..

بعد ذلك تصاحب "بدرى"، تقعد معه كثيراً فى "التكعيبة"، يحكى لهـا كل شىء عن العشش ولا يقبل منها أى فلوس ..

"بدرى" ..

يؤكد "لسماح" أنه لن يتوقف عن بيع المخدرات، أكـل سندويتشـات "عفاشة"، احترام المؤخرات الحلوة، تصنيفها، الالتصـاق بهـا فـى الأوتوبيسات المزدحمة..

(١٣)

فرق كبير جداً بين الذكورة والرجولة :

ليس مطلوباً منك أن تفعل أى شئ لتكون ذكراً ..

مجرد نزولك من بطن أمك بهذا النتوء الصغير تحت سرّتك بشبر تقريباً تُكتب فى شهادة ميلادك ذكراً ، لا أحد يقدر أن يسلبك هذا التصنيف مهما كان .. لما يتحوّرالنتوء لقضيب كبيراً أو صغيراً ، استعملته أم لم تستعمله، حتى لو قطعته ورميته فى البحر تظل ذكراً، لن تخسر هذا.. لأنه مجرد تصنيف ..

تصنيف وخلاص ..

أما الرجولة.. معنى مطلوب منك أن تفعل الكثير جداً لتستحقه، وحدك قادر على اكتساب هذا المعنى، لا أحد يقدر على أن يمنحه لك..

تعانى كثيرا لتكون رجلاً ..

" خليل " ..

لم يمتلك أكثر من ذكورته ليعامل بها "نعيمة".. لم يبذل أى مجهود ليكون رجلاً .. لم يحاول ..

بعد الصباح الغامق الذى وجدت فيه " نعيمة " نفسها ممددة على كنبة السيارة التى يشتغل عليها "خليل"..

بعده بصباحات كثيرة رمادية استيقظت على صباح معتم تماماً لتعرف أن "خليل" كتب كتابه على "سعاد" ابنة صاحب السيارة ..

صار الكل موقناً أن "خليل" فتح "نعيمة" ورماها ، لم يشأ أى رجل أن يتأكد بنفسه ..

(جرَّبْت ألا تقدر على كره حبيبك الخائن ؟ .. تكرهه لدرجة القتل ؟)

"نعيمة" ..

تتخيل "خليل"، و"سعاد" قاعدة جانبه فى نفس مكانها، يفسحها فى نفس الأماكن ، يقول لها نفس الكلام ..

لكنه مع "سعاد" يدفع حساب الأكل والمشروبات ..

بكت "نعيمة" كثيراً تلك الليلة ..

نامت على صدر "عم سيد" كما لم تنم بعد آخر مرة لها فى حضن أمها ..

* * *

: انت عايز تعمل فتنة ف البلد يا ابن الكلب ؟

: فتنة إيه وعطيات مين يا باشا ؟

: بتهزر يا روح امك ..

"كنت أعمى والآن أبصر" ..

اسطوانة لم يعرف "الشرنوبى" ما تحويه :

مسرحية تحكى عن شاب مسيحى أسلم ثم عاد للمسيحية .. ..بسبب موضوع المسرحية داخل الأسطوانة نشبت معارك بين مسلمين وأقباط فى "الإسكندرية" خاصة منطقة "محرم بك" التى شهدت مع منطقتى "المندرة" و"سيدى بشر" بعد شهور معارك أخرى بين مسلمين وأقباط لأسباب أخرى ..

"الشرنوبى" يتكهرب فى أعضائه الحساسة، يُعلّق من قدميه لساعات طويلة رغم ما يبدو مؤكداً أنه مجرد واحد يبحث عن أىّ مكسب

: هوه انا اللى عملتها يا باشا .. أنا بيّاع وخلاص ..

.. يُفْرَج عن "الشرنوبى" قبل انتخابات "مجلس الشعب" لتتفرغ أجهزة الأمن لمساندة الحزب الحاكم، ومواجهة الصعود القوى لجماعة "الإخوان المسلمين"..

لما يعربد بوكس "الحكومة" بين العشش يلملم الأعضـــاء البـــارزين يهرب " بدرى " كما وعد " سماح " ..
يهرب "هلال" العظيم .. أنت معه يا " حسين " ..

يقبض البوكس على "عفاشة الكبداوى" بعد وشاية المرشـــد "عـــوض" عنه للضابط

: الواد ده لَبَط يا باشا .. علينا مش معانا ..

"عوض" يرمى "عفاشة" فى الحبس، يوصى المخبرين بضربه فى كل جسمه بقسوة لعدة أيام..

يدخل له "عوض" يضربه بمشط رجله ضربة مركَّزة مـــؤثرة فـــى محاشمه تفقده القدرة على الانتصاب، تعيد له القـــدرة علـــى النطـــق والصراخ بالوجع..

يطمئن "عوض" تماماً ألا يحدث أى شـــئ تحـــت " عفاشـــة " فـــى المستقبل..

* * *

تكتب "سماح" فى عمودها الصغير بحرية مطلقة منحها لها أستاذها..

تحبه؟؟؟؟

معجبة به ..؟؟

يروقها أسلوبه، جنونه، جرأته التى حرمته الأصدقاء، وتسببت فى عزله من منصب رئيس تحرير ليكون مسئولاً عن صفحة داخلية أسماها "مراسيل".. جعلها بؤرة فوران وغضب شديدين..

يقف عموده فى شمال الصفحة عابساً جداً ، يهاجم الحكومة من أولها لآخرها، لا يتوقع منه مصالحة مع أحد..

لا يخلو أمر الرجل من النسوان ..

تضحك "سماح" لما تعرف أن بعض الرسائل القصيرة المُوَقَّعَة فى صفحته بأسماء بنات، هى رسائل كتبها بنفسه كرشوة تافهة لواحدة يرغب فى مضاجعتها ستفرح لما تشوف اسمها السخيف فى "الجورنال"..

الرجل غاب عن الصحيفة شهراً كاملاً بعدما اقتحم مكتب رئيس الحزب فى غيابه.. تَبَوَّل على المكتب، ضاجع واحدة من نسوانه التافهات على الكنبة الجلدية القديمة تعبيراً عن احتجاجه لتواطؤ الحزب مع الحكومة بترتيب صفقات تراضى فى انتخابات مجلس الشعب ..

.. لن تنسى الحكومة " بدرى " الذى يبيع المخدرات ، لا يدفع الشهرية، هرب من تأدية الخدمة فى الانتخابات الأخيرة .. يحب الالتصاق بالمؤخرات الحريمى وتصنيفها .. يسرق حبات المانجو الخضراء الصغيرة المزززة يهديها "لسماح" لما يقعد معها فى قهوة "التكعيبة" يدخن شيشة ،يشرب شاياً، يأكل سندويتشات "سعد الحرامى"، يصنف بمحبة المؤخرات المدهشة لبنات "التاون هاوس"، يقول

: معقولة الطيز دى تشخ خرا ..؟؟!!

لما "سماح" تؤكد له أن المؤخرات ليست بالنظافة العبيطة التى يتخيلها

: دى حاجات مليانة خرا يا أهبل يا مقرف ..

يهتف لها

: انتى عايزاهم يشخوا خرا زيِّى؟!

لاااا .. دول يشخُّوا مهلبية وشوكولاتة ..

الحكومة اعتقلت " بدرى " ..

لم تسحبه هذه المرة من فوق امرأته ، إنما من "التكعيبة" وقت تدخينه الشيشة مع " سماح "..

* * *

" الشرنوبى " ..

لم يجد مفرًّا من مواجهة الحكومة التى كهربته وعلقته بسبب اسطواناته المدهشة ، وأفعاله مع أمناء الشرطة ..

قام بتغيير بسيط فى شغله إلا أنه – له الشكر – ظل مُصِرًّا على نشر " الثقافة "..

لم يكن " الشرنوبى " مضطَّراً لإطلاق لحيته ، فقط يحلق ذقنه ، يعطرها كل يوم، يرتدى جلباب أبيض قصير تحته سروال أكثر بياضاً، يدفس قدميه فى صندل جلدى رصاصى اللون غالبًا، لكن "الشرنوبى" زايد على الجميع وتَحَصَّل على صندل أبيض نادر..

بدَّل بضاعته من دهانات الذكورة وشرائط / اسطوانات معبأة بالشهوة ، لشرائط خطب دينية .. حزمة سواك .. أربعة أو خمسة برطمانات عسل نحل ..كرتونة صغيرة مرصوصة بزجاجات ملونة بحجم عقلتى إصبع فيها روائح نفاذة ..

نقل مكان شغله من أمام سينما "ريڤولى" لرصيف "الجمعية الشرعية الرئيسية" بشارع "الجلاء" قبل مسرح "الفن" بمحطتين أتوبيس تجاه ميدان "باب الحديد/ رمسيس" ..

يعانى " الشرنوبى " قليلاً حتى يتخلص من عادة هرش عضوه كلما اقترب زبون من مستطيله الخشبى ، يقطع كلمة "برنس" قبلما ينطقها كاملة ، يستبدلها بحرفى " أخ " ..

"الشرنوبى" يبص بتهديد حقيقى لأصحاب المكان القدامى بعدما يلاحظ بَصَّاتهم الغاضبة واستعدادهم للدخول ضده فى عراك ، يخرج المطواة يُقَشِّر بها رءوس أعواد السواك ، يشكُّهم بطرف عينه محذراً..

يتقبلونه على قرف لما يقترب منهم يُقدِّم لهم نفسه الراضية المرضية :

أخوكم فى الله " الشرنوبى " .. باجرى على أيتام ..

ربنا يرزقنا ويكرمنا كلنا إن شاء الله ..

بسرعة يتعلم منهم بعض الكلمات الليِّنة ، والنظرة الوديعة التى ترقق قلوب الزبائن لا تفلت منهم أحداً ..

يثبت لهم سريعاً أنه أكثرهم وداعة ، فصاحة ، شطارة فى اقتناص الزبائن ..

يفرش الرصيف بكتب دينية متنوعة .. يأتى بجميع أنواع العطور المتاحة ، يبيعها بأسعار مهاودة .. كل عطر ملصق عليه ورقة مقواة بيضاء صغيرة مكتوب فيها بخط أسود عريض الصنف وسعره :

مسك تميمى ٥ جنيه

ياسمين تميمى ٤ جنيه

لابيدوس ٩ جنيه

فواكه ٦ جنيه

فواكه سعودى ٧ جنيه

هوجو ٩ جنيه

مسك خام ٨ جنيه

نايس ٨ جنيه

بويزون ٨ جنيه

چيڤينچى ٩ جنيه

دعاء الجنة ٧ جنيه

.....

الشيخ " الشرنوبى " ..

يعرف وصفات سرية للذكور ، يمنحها لهم مجاناً .. يحرص على مسّ أكفهم برأس زجاجة صغيرة فاقعة اللون والرائحة ، يحرصون هم بعد قليل على مسها طلباً للبركة ..

الشيخ " الشرنوبى "..

يتعمد بشكل ملحوظ إظهار احتقاره لأى ضابط أو عسكرى أو بوكس أو أى شئ يمتُّ " للحكومة" بصلة ..

يفاجأ فى البداية ، لكنه بسرعة يعتاد أن تعامله الحكومة ذات نفسها برفق وتودد،ألاَّ تخاطبه أبداً باسمه مجرداً .. لا بد أن يسبقه لقب "شيخ"..

الشيخ " الشرنوبى" ..

يصير مركز قوة بمواجهة " عوض " الواقف أمام قسم الشرطة بالجانب الآخر من الشارع على بعد أمتار قليلة ...

* * *

:أنا حبلى ..

قالتها و"جنات" " لهلال" وهو قاعد مع شلة الشرب .. أنت عن شماله يا "حسين" كعادتك ..

يبدو أنها قالتها له سابقاً ولم يتوصلا لاتفاق ، ردّ عليها "هلال"

: قلت لك نزّليه يا بت الكلب ..

: وانا قلت لك مش هانزّله ..

رمى السيجارة، داس على ركبتك يا "حسين"، اندفع "لوجنات" يركلها فى بطنها، يرميها خارج العشة، يضربها فى جنبها، تصرخ متألمة،

انت وشلة الشرب لم تتحركوا من أمكانكم ، فقـط تراقبـون بعقـول جبانة ..

تنتفض "وجنات" من بين ساقى "هلال" تخربشه فى وجهه بغيظ

: عايز تسقّطنى يا ابن الكلب ..

عايز تقتل ابنى يا ابن الكلب ..

يسحب حزامه رأس الثور يضربها كلها، تقبض حفنة تراب ترميهـا فى عينيه وتجرى..

.. "وجنات" تريد أن يتزوجها "هلال" ويغادران العشش لأى بيت فى الدنيا تربى فيه ابنها، "هلال" يريد أن يكمـل حياتـه عظيمـاً فـى العشش..

لن يغادر العشش لأى مكان فى الدنيا ..

.. يعيش ويموت هنا

: لو مش عاجبك روحى ف داهية تاخدك انتى وأهلك ..

انفضّت قعدة الشرب ..

اتجه "هلال" لعشة المقابر.. انت جانبه يا "حسين" تكتم أنفاسك حتى لا تغضبه..

رجعت "وجنات" بسرعة ماسكة سكين كبيرة قوية ، اقتربت من ظهر "هلال" .. خلفه تماماً، تقدر بضربة واحدة أن تقتله .. فوجئت بنفسها تهتف

: اجرى يا "هلال" .. اجرى يا "هلال" ..

لأول مرة يا "حسين" تشوف "هلال" العظيم خائفاً .. خائف بجد .. أيضاً لم يصادفك أبداً مثل غضب " وجنات " ..

: اجرى يا هلال ..

"وجنات" تطارد " هلال" ..

تكررها ..

: اجرى يا " هلال "

فى كل مرة يتسرب البكاء لصوتها حتى يسحقها الحزن تماماً ، تتوقف فى مكانها منهارة تبكى .. تبكى ..

يرجع لها "هلال" يحضنها ..

يحضنها بذاك الحب الذى لا يفهمه ولا يعرف كيف يفعله معها ..

.. دخلا العشة ..

"حسين" ..

شُفت "هلال" و "نعيمة" كيف يبكيان، يتحرران من العالم معاً ؟؟

شُفتهما من بين شروخ الحمام تحممه كأم تنظف ابنها قبلما تسلمه للرب ؟؟

* * *

"نعيمة".. لم تظهر فى القهوة منذ ثلاث ليال، لمَّا "سماح" راحت لها وجدت مكانها شاباً نحيفاً لم يفدها بشئ لما سألته عنها ..
ابن صاحب القهوة، "أم هلال" القاعدة بالفطير والمشّ بالجوار، "أم حنان" فى موقف "السبتية"، أبو نعيمة .. كلهم لم يشوفوا "نعيمة" منذ ثلاث ليال ..

بالنسبة "لفراولة" ..
تتوقع " سماح" أن تجد بعض صعوبة فى توفير وقت لزيارتها "بالحسين" إن كانت ستستمر هناك .. لكنها فى كل الأحوال متأكدة أن ربنا لا يبغضها ..

* * *

أول كلام بين محروس وفراولة :

اعترضها وهى راجعة بعد أسبوع قضته فى شـــقة طلبـــة " بمدينـــة نصر" ..

أمسك ذراعها بقوة ، ضربته على صدغه ودخلت عشتها..

ظلت تحلم به مدة أسبوع ممسكاً بيدها يعضُّها حتى تنزف ، تصرخ :

: سيبنى يا " محروس " .. سيبنى يا " محروس"

تستيقظ مفزوعة ..

: سيب إيدى يا " محروس" ..

لم يترك يدها إلا بعدما قابلته لترجوه

: سامحنى يا " محروس "..

اشترت له جلابية جديدة لم يلبسها ..

..الآن..

"فراولة" مع "محروس" فى مولد "الحسين"..

الضوء المبهر يملأ الدنيا، أصوات "المدَّاحين" تشق طريقهـــا وســـط حشود الناس مدفوعة بموسيقى صاخبة ..

"محروس" يتأمل الأنوار بفرحة من يشوف كائنات لا يشوفها غيـــره، يتمايل مع الموسيقى ، يَفْرِق الناس حوله ، يهتف " هه .. هه .. هه"،

"فراولة" المذهولة تمسك ذيل جلبابه تمشى فى المساحة التى يفرغهـا جسمه القوى خلفه ..

يتوقفُ "محروس" عند شادر متلألئ .. "المدَّاح" يقف فى العمق حوله الفرقة الموسيقية، على الجانبين صفين طويلين من مريدى "الحسـين" يُطوِّحون أجسامهم الفائرة يميناً وشمالاً مع الموسيقى ، يطلقون مـن صدورهم : هه .. هه .. حى .. حى ، قوية قوية .. العرق يرسم فى جلاليبهم كائنات أسطورية ..

يندس "محروس" سريعاً فى الصف ، يُطلق : مداااااااااد .. يُطـوِّح جسمه على امتداده كأنما يطلق روحه للسماء، تعلو وجهـه ابتسـامة حزينة مبتهلة، تتوه عيناه تبحثان بين النور عن سر ما ..

ينكشف السر ويبتسم له لحظات ، ثم يتوه عنه .. يتـوه "محـروس" بمحبة ..

" محروس " ..

يفور وسط الصف ، ينفخ سخونته فى الجميع ، كلما يحس بهـدوئهم يطلقها

: مداااااد .. يا بوياااااااااااا ..

آآآآه يا آباااااااااااه .. مداااااااااد..

يطلقون أرواحهم خلف روحه للفضاء

يا آل بيت النبى أمانة م تفوتونيش..
أنا ليّا العشم فيكم.. عايز أنول مطلبى.. بس فى حماكم أعيش
الناس شافونى بابكى.. يا سيدى "الحسين" قالوا لى م تبكيش
أنا قلت بابكى على حالى .. على حالى يا خلق م تلومونيش
ضيعت مالى على جرحى وعايز أعيش
وبدل م ألبس حرير يعجبنى لبس الريش
وبدل م آكل طيور متنضفة من الريش
آكل بملحى حصى وأغمّسه بالعيش(*)

كل هذا الشجن يشقُّ روح " فراولة" ؟؟
شئ يبكى داخلها..
أصوات المداحين والمريدين تضرب قلبها فى منطقة لم تجربها قبلا..
صوت تلك الآلة الموسيقية " الكولة " يدغدغها تماماً ، يشق طريقه الشجى وسط الآلات الموسيقية الأخرى ، يحفر فى عمق " فراولة " نهراً حزيناً يغسلها .. يريحها ..
تترك نفسها لصوت " الكولة " يبكى داخلها ..

(*) الشيخ العربى فرحان البلبيسى (مدح فى حب الرسول)

" الكولة " ..

الآلة الموسيقية الأكثر تجريحاً وجلباً للراحة فى هذا العالم المتعـب، تمنحك تلك الراحة التى تحسها بعد بكائك العميق، تؤلمك .. تؤلمك.. تؤلمك حتى لا يعد هناك من ألم.. فتحس بالنقاء التام، أنك لست مديناً لأحد فى العالم، غير مهتم بما يدين لك به العالم..

تسلمك "الكولة" لروحك..

تسلم روحك لك ..

تمنحك جوهرك الشفاف..

السماء..

أنت مستعد للطيران..

"الكولة"..

الأخت الكبرى "للناى"..

الأخت الأكثر شجناً، حزناً، تجريحاً، شفاءاً للروح ..

كأخيها الصغير مصنوعة من "الغاب"، أو "القصب المجوف" لكنهـا أكثر سهولة منه فى التركيب، "الناى" يتكون من قصبة عدد عقـدها ثمانية، وله سبعة ثقوب.. "الكولة" لها ستة ثقوب، سلم موسيقى واحد، قطرها أعرض من "الناى"، أكثر انسيابية منه فى العزف..

يطلق على "الكولة" أسماءاً أخرى، مثلما يسمونها "سلاميَّة" فى "كفر الدوار" ..

عازف "الكولة " لابد أن يكون فناناً حقيقياً بالفطرة وماهراً، لأن صوتها غير ثابت ،والعزف بها يعتمد على تصوير النغمة ، فالعازف يحس اللحن ويصوره بأنغامها ، لذا فهى صعبة التعلم ، لم يتم تدريسها للآن فى معهد الموسيقى العربية ..

" الكولة " ..

تحتاج نَفَساً أقوى مما يحتاجه "الناى"، لأن عازفها أحيانا يظل "يقلب النَّفَس" طول الليل ..أى يعزف نغمة واحدة يكررها طول الليل..

لن تهتم "قراولة" بركن مظلم ومومس بملاءة لف تصطاد أحد زبائنها، فى ركن آخر عدة سيارات ملاكى سريعة مرصوصة جانب بعضها ، بنات فى "چينز" و"باديهات" عريانة يرقصن على تلك الموسيقى القوية كنوع من التغيير والاكتشاف لمتعة غير اعتيادية ..

"حسين" ..

لن يهتم بك أحد وأنت تدس نفسك وسط الزحام تُسدِّد عضوك المنتصب للمؤخرات الليِّنة حتى يؤلمك انتصابك ، تكاد تنفجر.. ترجع للعشش منسحقاً تتقيأ روحك على كوم زبالة ..

يرنّ فى دم " فراولة " صوت الصاجات التى يمكن اعتبارها الجندى المعلوم فى الفرقة الموسيقية ..

يمسك عازف الصاجات باثنتين منها فى كل يد بالإبهام والسبابة والوسطى ..

يفتح ذراعيه جانباً بجلبابه الواسع رافعاً وجهه للسماء ، يدور حول نفسه بحركات قدميه وحذائه الأسود اللامع أبو رقبة قصيرة ، ينوى الطيران ..

" فراولة " تتوقع أن يطير الرجل فى أية لحظة ، فقط ينتظر إشارة السماء ..

" فراولة " تسلم روحها " للكولة" القاسية / الحنون ..

" الكولة " ..

أختك الكبرى .. تفتح لها صدرك لتكوى قلبك لأنك تعرف أنها آخر الليل تضمك لحضنها ، تمسح بيدها الطيبة على نارك تريحك، تمنحك روحاً جديدة شفافة قادرة على الطيران ..

كل هذا البكاء يا "فراولة" ؟؟

كل هذه الراحة ؟؟

* * *

"الإسكندرية " ..

" عم سيد "..

توقفت " نعيمة " تماماً عن البكاء ..

رَمَت " خليل " وسيارته فى البحر ..

.. فى " الإسكندرية " ..

فى شقة "العجمى" التى أجَّرَتها "نعيمة" لمدة أسبوع ..

.. حَلَقَتْ "نعيمة" "لعم سيد" شعر ذقنه وعانته.. نَتَفَتْ إبطيه برقة ..

تحت الدُّشّ المنعش حمَّمَته بشامبو مخصص للأطفال ، أضحكه كثيراً وكاد بنعومته أن يقتله أو يسخطه شاباً ..ألبسته ملابس جديدة ..

لبست بنطلون چينز أزرق و" تى – شيرت " أبيض ، فوقهما ملاية لف زبدة ..

تتمشَّى على البحر، تأكل الذرة المشوي، حمص الشام، تشرب خروب، مانجو، عنَّاب، كركديه، دوم ،عرقسوس، سوبيا ..

فيشار، لب، آيس كريم، سمك مشوى ومقلى، بطارخ، جمبرى، سبيط، أرز أبيض وأحمر..

تضحك، تبكى، تجرى، تلعب ..

تغنى، ترقص ..

تطير، تعوم ..

.. كأن آخر يوم لها فى الدنيا..

أو أول يوم ..

منحها " عم سيد " سره ..

ما الذى منحه " عم سيد " لك يا " نعيمة " ؟؟

سره ..

ما الذى كان يخبئه لك وأسعدك به يا " نعيمة " ؟؟

سره ..

" نعيمة " تريد أن تحتفظ بالسر لنفسها ، ليكون لها أسرار مثـل أى واحدة فى الدنيا لها أسرار وحاجات حلوة تخاف عليها وتحتفظ بهـا لنفسها ..

"هل عشت يوما تلك اللحظة التى تحس فيها كأنك ترى العالم من مكان ما بجوار الرب .. ؟؟

اللحظة التى تفاجئك فلا تعرف متى تزورك ، وتشكر الرب لأنه يمنحها لك ويختارك لها، فأنت تعرف أنها حتماً لا تُمنح لكثيرين، لحظة هى رغم بؤس العالم فإنها تأتيك كنسمة تعرف طريقها بين أشجار ووحوش الغابة، تصلك لتهبط على قلبك بسلام.. سلام وطمأنينة كاملين تامين..

تضع فى كفك قطرة من الشجن الشفيف والسعادة النبيلة ..

لحظة لن تصلها بألف صلاة..

يختارك الرب لها..

ويُعَدِّل شيئاً فى قلبك لتراه.. تراه بوضوح، يمد يده الحنون يثبّت العالم أمام عينيك قليلاً قليلاً، ويقول لك بابتسامة طيبة : تأمَّل .. تأمَّل..

فتسقط من كتفيك كل العالم ..

كل ثقل العالم ..

يصير كل شئ من الخفة كأنه بلا وزن ، ترتاح قليلا من الأسئلة ، واللايقين الذى يعذبك بالجنون ..

تمتلئ عن آخرك بالإيمان ..

يتحول العالم إلى سجادة ماء تمشى عليها حتى تصل نبع النـــور ، تدرك عمق وسهولة العالم ، كأنما يمنحك نفسه ويكشف لك روحه ، كأنك أول إنسان يضعه الله على الأرض بعدما فرغ حالاً من إبـــداع السماوات والأرضين والماء ..

تحس أنك نقى تماماً بلا دنس ..

تتصالح مع روحك، تسامح العالم والموجودات..

ترى العالم رغم قسوته وبؤسه محتملاً، ومكاناً صـــالحاً للحيـــاة .. لأنك تستحقهما معا _ الحياة والعالم – ..

أنت تريد أن تبقى هنا فى تلك اللحظة ، لكنك تعرف أنها ســـتغادرك بعد قليل، فتترك نفسك لها لتفعل بك ما تفعلـــه الملائكـــة بـــأرواح الطيبين ..

تحس بيد الرب الطيب تربت قلبك بسماح ، فتعرف كم هو يحبك..

تعرف كم يحبك الله ..

فتبتسم له .. لله .. وتؤمن .. تؤمن .. تؤمن .. ترتاح ... "

لو عشت هذه اللحظة يا " فؤاد " مرة واحدة فى حياتك .. فأنت بخير

.. "سماح" ..

لم تجد بعد من يقعد معها على القهوة ثلاث ساعات متصـــلة دون أن تمل أو تزهق أو تقرف منه ، تشرب معه شاياً وقهوة ، تحرق سجائر

وشيشة، تلاعبه دومينو شطرنج ، كوتشينة ، تكلمه فى كل شـــئ .. ولما يشوفهما من لا يعرفهما لا يعرف إن كانا حبيبين أم صديقين أم عشيقين أم زوج وزوجته أم أخ وأخته

أم خليطاً من كل هذا ....

الآن ..

"سماح" تمشى فى الشوارع بين الناس.. تسأل.....؟؟؟؟؟؟؟؟؟

تسأل ....

تسأل.....

تسأل.....

؟؟؟؟؟.....

؟؟؟؟؟.....

؟؟؟؟؟.....

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

المؤلف :

- محمد عبد الرحمن الفخرانى .
- مواليد محافظة البحيرة - عام ١٩٧٥

إصدارات :

- مجموعة قصصية بعنوان " بنت ليـل " - ابـداعات - الهيئـة العامة لقصور الثقافة - ٢٠٠٢
- مجموعة قصصية مشتركة بعنوان "التوأم وقصص أخـرى" - نادى القصة - ٢٠٠٢
- مجموعة قصصية مشتركة بعنوان "قصـص مصـرية" - دار الأدباء - ٢٠٠٤

- **بريد إلكترونى :**

mfakhrany@hotmail.com
mohamedalfakhrany@yahoo.com

هناك ناس ربما لم يجربوا في حياتهم من مشاعر البشر إلا شعورين فقط . . النجاح والحب مثلا . .

هؤلاء في رأي "سماح" يستحقون الشفقة لأنهم لم يتورطوا في المشاعر الإنسانية بما يكفي ليكونوا بشرا، لم يتورط أحدهم في الكره، الفشل، الحقد، الرغبة في قتل الآخرين، حتى في ممارساتهم الجنسية يفعلون هذا بلا كلمة "قبيحة" أو جنون خاص . . يفعلونه بكبت وأدب جم . . بالإيتيكيت، بالشوكة والسكين . .

يمشون على رصيف الحياة في ملابس نظيفة وأحذية طويلة، لم ينعجنوا بدنس الحياة وقذارتها . .

لم يجربوا الغضب أبدا . .

ناصعوا البياض، ليس بينهم وبين الرب أسرارا يخجلون منها . .

اللوحة والغلاف للفنان / مجاهد الغرب

الدار